

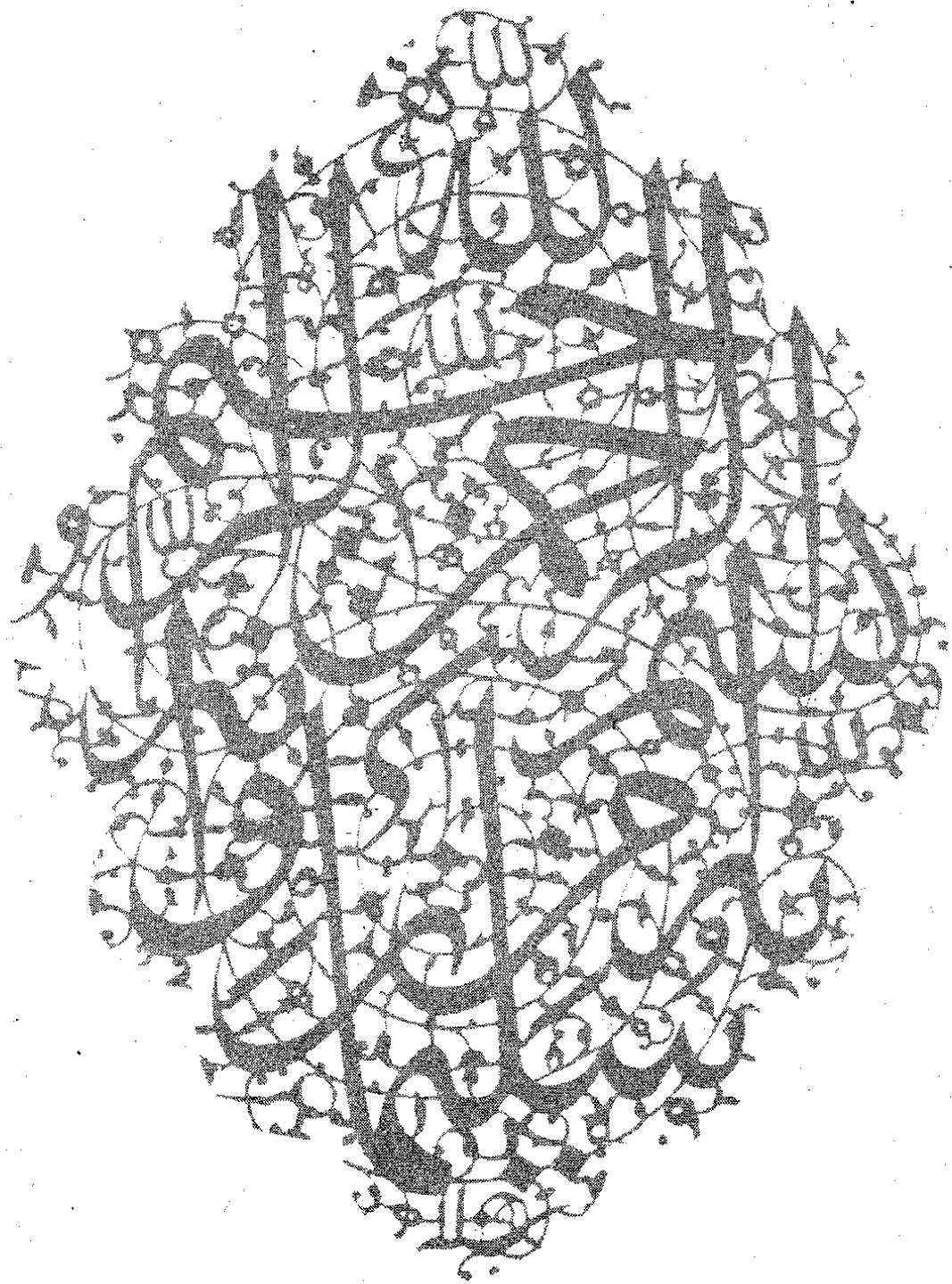
مَحْمُودُ
مَحْمُودُ
الْأَنْجَوِي

مُحَمَّدُ مُهَمَّوْلُ الشَّعْرَوِيُّ



ادارة الكتب والمكتبات

● مأكibit : اشرف حسين





الفصل الأول

ما هي المعرفة

ما هي المعجزة ؟

القرآن هو كلام الله المنزلي على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمتعدد بتلاوته والتحدي به الانس والجن والعالمين .. ولم يتحدى الله به الملائكة .. لأن الملائكة ليس لهم اختيارات يعملون بها .. إنما هم يفعلون ما يؤمرؤن .. ومن هنا فإن القرآن يتحدى كل القوى المختارة .. أو التي لها اختيار .. أو التي ميزها الله بقدرة العقل والفكر والاختيار .

على أننا قبل أن نتحدث عن معجزة القرآن .. فإننا يجب أولاً أن نحدد ما هي المعجزة ؟ المعجزة هي خرق لنوميس الكون .. أو لقوانين الكون .. يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسوله ليدل على منهجه .. ويثبتهم به .. ويؤكد للناس أنهم رسّله تؤيدهم السباء وتنصرهم .. والسباء حين تؤيد وتنصر ، تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً .
ولتكنا حين يأتي إنسان ويقول إنه رسول من عند الله جاء ليبلغ منهجه .. أصدقه ؟ أم أننا نطالب به ثبات ما يقول ؟ إذن كان لابد أن تجيء مع كل رسول معجزة تثبت صدقه في رسالته وفي بلاغه عن الله ..

ومعجزات الله تميز عن آية معجزات أخرى تميزها واضحاً قادراً .. فهي أولاً تأق وتحدى من أرسل فيهم الرسول فيها نبغوا فيه .. لماذا ؟ لأن التحدي فيها لا ينبع فيه القوم لا يعتبر تحدياً .. فمثلاً إذا جئنا ببطل العالم في رفع الأثقال .. وتحدينا به رجلاً عادياً .. لا يكون هناك مجال للتحدي .. لماذا ؟ لأن المتحدي لم ينبع في نفس جنس العمل الذي أريد أن يتم فيه التحدي .. ولتكنا إذا جئنا ببطلين من أبطال العالم .. فإن التحدي يكون بينهما واضحاً .. ويكون له معنى فيمن يثبت إنه هو الأقوى ..

وإذا جئنا بآنسان قد نبغ في الطب مثلاً .. وأرسلناه إلى بلد ليس فيه طبيب .. فلا يعتبر هذا تحدياً .. لأنه لا يمكن أن يجد هذا الطبيب من ينافسه بحيث يكون هناك مجال للتحدي .. ولكننا إذا جئنا بهذا الطبيب وأرسلناه إلى أكبر عواصم الطب في العالم .. هنا يكون تحدياً لهذا الطبيب .. هو تحدي بقوة العقل حيث أننا وضعناه في اختبار مع أكبر ما في عصره من قوة يمكن أن تواجهه ..

ما هي المعجزة ؟

نكون بذلك قد وصلنا إلى نقطتين .. النقطة الأولى .. أن المعجزة يجب أن تكون خرقا لقوانين البشر ولا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى الذي وضع هذه القوانين .. وثانيتها أن المعجزة معجزة كل نبي يجب أن تكون بما نبغ فيه قومه حتى يكون التحدي نابغا وقويا .. واثباتا على قدرة الله سبحانه وتعالى .. فلا آتي بقوم نبغوا في الطب مثلا وأرسل لهم معجزة في البلاغة .. أو آتي بقوم قد نبغوا في البلاغة وأرسل لهم معجزة في الطب .. هنا الاحساس بالمعجزة لا يكون فيه التحدي القوى للإنسان .. فالتحدي يجب أن يكون في أمر نبغ القوم فيه حتى لا يتحدى الله قوما بأمر لا يعرفونه .. ولا موهبة لهم فيه .. وحتى يكون للتحدي قيمة .. ومن هنا كانت معجزة كل رسول فيما نبغ فيه قومه .. على أن المعجزة لا تأتي فقط بخرق القوانين .. والتحدي .. إنما توفر أسباب هذا التحدي .. بمعنى أن القوم الذين يريد الله أن يتحداهم يمكنهم من الأسباب كلها .. ثم بعد ذلك يعطى الأسباب .. فلا يتم الفعل .. ولنعطي أمثلة سريعة على ذلك .. مثلاً معجزة نجاة إبراهيم عليه السلام .. ومعجزة نجاة موسى عليه السلام .. كلتاها معجزة .. وضفت فيها الأسباب .. ثم عطلت .. معجزة إبراهيم جاءت تحدياً لقوم يعبدون الأصنام .. ويُسجدون لها ويقدسونها .. ولذلك عندما أرادوا احرق إبراهيم كانوا يريدون أن يتقموا لآهتهم وهي الأصنام .. وكان الانتقام معداً بالشكل الذي يجده هذه الأصنام .. ويجعل إبراهيم عبرة لكل إنسان تسول له نفسه أن يهينها أو يكفر بها ..

وجد إبراهيم ولم يحرق

جاءوا بإبراهيم .. وأمام آهتهم وفي حمایتها .. أوقدوا ناراً هائلة ليحرقوه .. والحرق هنا أمام الآلة وعلى مشهد منها ليكون الانتقام من إبراهيم انتقاماً تباركه الآلة وتجعله رهيباً .. وجاءوا بالخطب ووقفوا أمام آهتهم مصدر قوتهم .. وأوقدوا النار الهائلة .. كل شيء هنا معد لتمجيد آلة غير الله سبحانه وتعالى .. وأتوا بإبراهيم .. والسؤال هنا لماذا جعلهم الله يأتون بإبراهيم ليحرقوه في النار أمام آهتهم .. كان من الممكن أن يختفي إبراهيم في أي مكان .. ولا يظهر .. وكانت هذه مسألة ممكناً تقوى إبراهيم الحرق وتجعلهم

ما هي المعجزة ؟

لا يعثرون عليه .. ولكن لوحـدـت هـذـا لـقـالـوا لـو أـنـا قـبـضـنـا عـلـى إـبـرـاهـيم لـأـحـرـقـنـاه .. وـكـانـت سـتـظـلـ قـوـةـ الـآـلـهـةـ الـمـزـيـفـةـ الـتـىـ يـعـبـدـونـهـاـ مـسـيـطـرـةـ عـلـيـهـمـ فـىـ أـنـ لهاـ قـدـرـةـ النـفـعـ وـالـضـرـ .. وـإـنـهاـ تـنـفـعـ مـنـ يـعـبـدـهـا .. وـتـضـرـ مـنـ يـؤـذـيـها .. وـإـنـهـ لـوـلاـ هـرـبـ إـبـرـاهـيمـ لـأـحـرـقـ فـىـ النـارـ وـدـمـرـتـهـ آـلـهـتـهـمـ وـهـىـ الـأـصـنـامـ تـدـمـيرـا .. وـلـذـلـكـ كـانـ لـابـدـ أـلـاـ يـهـرـبـ إـبـرـاهـيمـ بـلـ يـقـعـ فـىـ أـيـدـيـهـمـ لـيـشـهـدـ الـقـوـمـ جـمـيـعـاـ سـفـاهـةـ مـعـقـدـاـتـهـمـ وـعـجـزـهـاـ أـمـامـ قـدـرـةـ اللهـ ..

وـكـانـ مـنـ الـمـكـنـ أـنـ تـنـطـفـيـءـ النـارـ لـأـىـ سـبـبـ مـنـ الـأـسـبـابـ .. كـانـ يـنـزـلـ المـطـرـ مـنـ السـيـاءـ فـتـنـطـفـيـءـ النـارـ .. وـلـكـنـ هـذـاـ لـمـ يـحـدـثـ .. لـمـاـذـاـ ؟ لـنـفـسـ السـبـبـ ، لـأـنـهـ لـوـ انـطـفـأـتـ النـارـ لـقـالـ الـكـفـارـ أـنـ آـلـهـتـنـاـ كـانـتـ قـادـرـةـ عـلـىـ أـنـ تـحـرـقـ إـبـرـاهـيمـ .. وـلـكـنـ السـيـاءـ أـمـطـرـتـ .. وـلـوـ أـنـ السـيـاءـ لـمـ تـمـطرـ لـأـنـتـقـمـتـ آـلـهـتـنـاـ مـنـهـ بـالـحـرـقـ .. فـإـبـرـاهـيمـ لـمـ يـهـرـبـ .. بـلـ وـقـعـ فـىـ أـيـدـيـهـمـ .. وـالـنـارـ لـمـ تـنـطـفـيـءـ .. بـلـ اـزـدـادـتـ اـشـتـعـالـاـ ثـمـ أـلـقـواـ بـإـبـرـاهـيمـ فـىـ النـارـ ، فـإـذـاـ بـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ يـبـطـلـ خـاصـيـةـ الـاحـرـاقـ فـىـ النـارـ .. وـتـكـونـ بـرـدـاـ وـسـلـامـاـ عـلـىـ إـبـرـاهـيمـ ..

إـذـنـ فـمـعـجزـةـ إـبـرـاهـيمـ لـيـسـ أـنـ يـنـجـوـ مـنـ النـارـ .. وـلـوـ أـرـادـ اللـهـ أـنـ يـنـجـيـهـ مـنـ النـارـ مـاـمـكـنـهـمـ مـنـ القـبـضـ عـلـيـهـ .. أـوـ لـنـزـلتـ الـأـمـطـارـ لـتـنـطـفـيـءـ النـارـ .. وـلـكـنـ اللـهـ شـاءـ أـنـ تـنـظـلـ النـارـ مـتـأـجـجـةـ مـحـرـقـةـ قـوـيـةـ .. وـأـنـ يـؤـخـذـ إـبـرـاهـيمـ عـيـانـاـ أـمـامـ النـاسـ وـيـرـمـىـ فـىـ النـارـ .. ثـمـ يـعـطـلـ اللـهـ نـامـوسـ أـوـ قـانـونـ إـحـرـاقـهـاـ .

« قـلـنـاـ يـاـ نـارـ كـوـنـ بـرـدـاـ وـسـلـامـاـ عـلـىـ إـبـرـاهـيمـ »

فـتـعـطـلـ إـرـادـةـ اللـهـ خـاصـيـةـ إـحـرـاقـ النـارـ .. وـتـقـفـ آـلـهـتـهـمـ تـلـكـ التـىـ حـطـمـهـاـ إـبـرـاهـيمـ وـالـنـارـ مـتـأـجـجـةـ .. وـإـبـرـاهـيمـ مـلـقـىـ فـىـ النـارـ .. تـقـفـ آـلـهـتـهـمـ التـىـ أـرـادـوـاـ الـاـنـتـقـامـ لـهـ أـمـامـ الـمـلـأـ أـجـمـعـ .. تـقـفـ عـاجـزـةـ عـنـ أـنـ تـجـعـلـ إـبـرـاهـيمـ يـحـرـقـ أـوـ تـنـالـهـ بـأـىـ سـوءـ ..

وـمـوـسـىـ عـلـىـ السـلـامـ أـوـحـىـ اللـهـ إـلـىـ أـمـهـ أـنـ تـلـقـيـهـ فـىـ الـيـمـ لـيـنـجـوـ .. وـأـخـرـ شـيءـ يـكـنـ أـنـ يـقـومـ بـهـ أـبـ أـوـ أـمـ حـينـ يـرـيدـ أـنـ يـنـجـيـ طـفـلـهـ هـوـ أـنـ يـلـقـيـهـ فـىـ المـاءـ .. فـالـطـفـلـ عـاجـزـ صـغـيرـ وـلـيـدـ .. وـالـقـاؤـهـ فـىـ المـاءـ يـعـرـضـهـ لـطـيـرـ جـارـحـ يـقـتـلـهـ أـوـ يـهـاجـمـهـ وـهـوـ لـاـ يـمـلـكـ لـنـفـسـهـ دـفـاعـاـ وـلـاـ بـأـسـاـ فـيـقـتـلـهـ .. وـقـدـ تـأـقـ مـوجـةـ صـغـيرـةـ مـنـ المـاءـ فـتـطـيـعـ بـالـسـلـلـةـ التـىـ فـيـهـاـ مـوـسـىـ فـيـنـقـلـبـ فـىـ المـاءـ فـيـغـرـقـ فـىـ الـحـالـ .. فـهـوـ لـاـ يـعـرـفـ شـيـئـاـ عـنـ الـعـوـمـ وـلـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـفـعـلـ شـيـئـاـ إـذـاـ سـقـطـ فـىـ المـاءـ .. وـإـذـاـ لـمـ يـسـقطـ فـىـ

ما هي المعجزة ؟

الماء فقد تأق الأمطار لتملاً السلة التي هو بها .. فيختنق ويغرق .. وقد تأق ريح تقلب هذه السلة في الماء فيموت .. إذن فكل الأخطار موجودة في القاء موسى في اليم ماعدا فرصة الحياة .. والمنطق والأسباب والعقل كلها تقول أنه إذا أرادت أم موسى أن تنجيه فلتفعل أي شيء في العالم إلا أن تلقيه في الماء .. كان يمكنها أن تأخذه إلى مكان بعيد يختفي فيه .. وكان يمكنها أن تهاجر بابتها إلى خارج مصر .. وكان يمكنها أن تخفيه في منزلها في مكان حصين لا يصل إليه جنود فرعون .. ولكن الله أمرها بماذا .. بأن تلقيه في اليم .. حيث يواجه خطر الموت أكثر مما يواجه احتمال الحياة .. وجعل في هذا الخطر خطر موت موسى غرقا .. أو بطير جارح .. أو بريح قوية .. جعل هذه الأخطار كلها الطريق الوحيد المضمون لنجاية موسى .. لماذا ؟ لأن الله هو الفاعل .. وهنا تعطل الأسباب .. ويصبح الالقاء نفسه هو النجاية والأمان والاطمئنان .

لماذا سجد السحر؟

نعود مرة أخرى إلى المعجزة .. لقد جاء كل نبي إلى قومه بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه .. قوم موسى نبغوا في السحر .. فجاء موسى عليه السلام بمعجزة السحر .. وتحدى قومه .. فكان أول من آمن به هم السحر .. لماذا ؟ لأنهم هم الذين يرهبون عيون الناس ويسيرونها .. فلما رأوا معجزة موسى كانوا أقدر الناس على فهمها .. والسجود لها نظرا لما رأوه من الفرق الهائل بين قدرة الله .. وقدرة البشر .. ولما أحسوا برعبه وهو يقابل ما نبغوا فيه من السحر بما أعطاه الله له ..

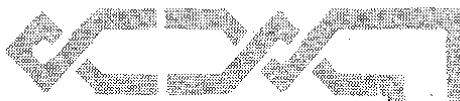
﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (٢٧) ﴿قَالُوا أَءَ أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) ﴿رَبِّ مُوسَىٰ﴾ (٢٩)

﴿وَهَلْرُونَ﴾ (٣٠)

(سورة الشعراة)

هكذا كان أول من آمن هم أولئك الذين نبغوا في المعجزة .. وهم أولئك الذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يتحداهم فيما نبغوا فيه ، فلما رأوا عظمة التحدى خروا ساجدين . لماذا ؟ لأن لديهم جزءا من العلم الأرضي في

ما هي المعجزة؟



السحر .. إنما يخشى الله من عباده العلماء .. فلما رأوا المعجزة أحسوا ببروعتها .. أحسوا بجلالها .. أحسوا بأنها من عند الله سبحانه وتعالى .. فنسوا فرعون ووعوده ، ونسوا الذهب والفضة وجاه الدنيا الذي يتظار لهم .. بل نسوا أن فرعون سيسوهم سوء العذاب .. وأنه جبار في الأرض .. تلاشى كل هذا عندما رأوا المعجزة .. وخرعوا ساجدين لله .. وكانوا هم الذين أراد فرعون أن يتحدى بهم معجزة الله .. ودين الله .. فإذا بهم أول من يسجد لهذا الدين ..

تلك روعة المعجزة .. تستطيع أن تتبينها إذا عرفت أن السحرة كانوا موعودين بالجاه والسلطان والمال .. وكانوا هم أعوان فرعون الذين يروجون له .. وكان في أيديهم حكم الدنيا إذا غلبوا .. أو إذا اتهموا موسى بأى اتهام باطل يروج له فرعون وجنوده .. ولكنهم بهتوا وذهلوا أمام معجزة فخرعوا ساجدين .. وتركوا كل هذا مضافاً إليه عذاب فرعون عندما رأوا آية من آيات الله ..

وعيسى جاء إلى قومه وقد نبغوا في الطب فأبرا الأكمه والأبرص .. وزاد على ذلك بأنه أحيا الموق بإذن الله .. إذن عيسى تحدى قومه في شيء نبغوا فيه .. فجاء لهم بما تجاوز علمهم .. وزاد عليه بإحياء الموق بإذن الله .. فكان التحدي من جنس ما نبغ في قومه ..

ومحمد عليه الصلاة والسلام جاء والعرب قوم بлагة وفصاحة .. فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه ، وهى ببلغة القرآن التي تحديهم وأعجزتهم .. فقالوا ساحر .. وقالوا مجنون .. على أننا سنتناول معجزة القرآن بالتفصيل في الفصول القادمة .. حيث أن اعتجاز القرآن ليس لغويًا فقط .. ولكن له جوانب كثيرة من الاعجaz الذى يتحدى به الله سبحانه وتعالى الانس والجبن إلى يوم القيمة .. والقرآن له عطاء يتجدد مع كل جيل من الأجيال ..

وإذا كانت المعجزة هي خرقاً للعادة مقرونة بالتحدي .. ولا يستطيع أحد معارضتها .. فقد تأق المعجزة خرقاً للعادة ، ولكنها ليست مقرونة بالتحدي .. أى أن الله سبحانه وتعالى لا يتحدى بها البشر ولا يطالبهم أن يأتوا بمثلها .. بل إن هذه المعجزة تأق لاثبات طلاقة قدرة الله في كونه .. بحيث لا يخضع الإنسان كل الأشياء للأسباب والمسبيات .. بل إن الإنسان المؤمن يجب أن يلتجأ إلى الله

ما هي المعجزة ؟

سبحانه وتعالى فيها تعجز عنه الأسباب .. فالله قادر قادر ليس لقدرته قيود ولا حدود ..

قدرة الله

والقرآن يعرض مسألة المعجزة لاثباتات طلاقة القدرة الإلهية في سورة مريم .. يأقلي ثبت قضية من القضايا التي اعتاد فيها الناس الأسباب والمسبيات .. وهي مسألة بقاء النوع .. وبقاء النوع مشروط بالبقاء رجولة وأنوثة لينشأ أخصاب وحمل .. ولابد أن تكون الرجولة مكتملة .. والأنوثة غير ناقصة ليتم ذلك .. فيأقى الله سبحانه وتعالى ليبث لنا طلاقة القدرة الإلهية بلا حدود ولا قيود .. حتى لا يفهم الإنسان أن الخلق مفروض بأسباب ومسبيات لابد من وجودها .. ومن هنا فإن الله في قضية الخلق يريد أن يدير المسألة من زواياها الأربع .. فليس بقاء النوع أو ايجاد النوع رهنا بوجود ذكر وأنثى .. بل هو رهن بمشيئة الخالق .. ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يخلق رجلا بلا ذكر ولا أنثى .. ويخلق من رجل بلا أنثى .. ويخلق من رجل وأنثى .. ويخلق من أنثى بلا رجل .. وبذلك تكون أركان الخلق الأربع قد اكتملت .. ولنشرح ذلك قليلا .. الله خلق آدم أول الخلق من غير ذكر ولا أنثى فآدم لم يكن له أب ولا أم وإنما خلقه الله سبحانه وتعالى .. ونفح فيه من روحه .. هذه واحدة .. خلق من غير ذكر ولا أنثى .. وخلق الله حواء على الأرجح من الذكر دون الأنثى .. ثم خلق البشرية كلها من الذكر والأنثى بقى شيء في الخلق أن يخلق الله من الأنثى بلا ذكر .. فتائق مسألة عيسى عليه السلام .. يأقى بقية الكون كله من البشر .. ويفتح عيسى عليه السلام من الأنثى لم يمسها رجل .. ومن هنا تكون القسمة للخلق أربعة .. فأصل الخلق كما أراده الله أن يكون .. يجعل له الأسباب هو من ذكر وأنثى .. ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون النشاء من غير وجودهما معا ، فخلق آدم .. ومن وجود الرجل وحده ، فخلق حواء من آدم .. ومن وجودهما معا فخلق الكون كله .. وجعله يتنااسل .. ومن وجود الأنثى دون الرجل .. فخلق عيسى .. وبذلك تكون أوجه الخلق كلها قد اكتملت .. إلا أنها يجب أن ننتبه إلى شيء هام .. خلق الإنسان .. بدون ذكر أو

ما هي المعجزة ؟

أنت .. معجزة تخضع لله سبحانه وتعالى .. خلق الأنثى من الرجل وحده معجزة تخضع لارادة الله سبحانه وتعالى .. خلق الرجل من الأنثى وحدها دون أن يمسها رجل .. معجزة جعلها الله سبحانه وتعالى .. خلق الإنسان من ذكر وأنثى .. معجزة جعلها الله تمضي في الدنيا بالأسباب والمسبيات .. ولكن لم يطلقها لتم بالأسباب والمسبيات وحدها .. فأدخل فيها المشيئة .. وقال سبحانه وتعالى :

«ويجعل من يشاء عقيماً»

إذن كل معجزة الخلق التي قمت إنما تخضع لمشيئة الله سبحانه وتعالى .. فليس وجود النوعين موجبا لأن يوجد الخلق ..

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّ شَاءَ وَيَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّمَا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾

(سورة الشورى)

المسألة ليست وجود مسببات .. بل إن الله سبحانه وتعالى حين يريد للأسباب أن تفعل .. تفعل .. وحين يريد لها أن تتغطرف .. وتغطرف أن تأتي بالعلل دون الأسباب يأق بها فلا قيود ولا حدود لقدرة الله سبحانه وتعالى ..

وإذا تعطلت الأسباب

هذه قضية في أصل الكون .. وهي قضية طرحتها الله سبحانه وتعالى وأعطتها للبشر ليدخل الإيمان إلى قلب المؤمن فيوضع فيه السكينة .. فالله سبحانه وتعالى يقول للمؤمن إذا ضاعت الأسباب فلا تيأس .. فأنا الذي خلقت الأسباب .. وأنا القادر على ايجاد المسبيات دون القانون .. فلا تيأس إن عزت الأسباب .. ومن هنا يأوى المؤمن إلى ركن شديد .. ويحس بالطمأنينة تملأ قلبه .. ولا يمزقه

ما هي المعجزة ؟

الفرع خوفاً أو رعباً .. حينما يفقد أى شيء .. ذلك أنه يأخذ بالأسباب أولاً .. فإذا عزت الأسباب أو تعذر ووجد كل الطرق مغلقة في وجهه ، اتجه إلى الله سبحانه وتعالى .. فالمؤمن لا ييأس من روح الله أبداً .. ولا تهار نفسه .. ويضيع أ منه عندما يرى انها الأسباب .. وتعرض لنا هذه القصة في سورة مريم .. ميلاد مريم رضي الله عنها كان له صحة .. يحكي ذلك القرآن الكريم :

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأُتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٤٧) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعَتْهَا أَنْتَ﴾

(سورة آل عمران)

كلمة انى وضعتها انشي التي قالتها امرأة عمران .. تحسر على أنها لم تضع ذكرها .. أى أن الوليد الذي جاء لا يؤدي الغرض الذي وهب من أجله .. لأن امرأة عمران نذرت ما في بطئها لله سبحانه وتعالى .. وكيف تستطيع مريم أن تؤدي الخدمة في المعبد وهي انشي .. وامرأة عمران تقول ان الرجل أفضل من الأنثى في ذلك .. فيقول لها الله سبحانه وتعالى انك مازلت تحسين أن الذكر أحسن من الأنثى .. هذه العملية التي تفكرين بها هي منطق الدنيا الخائب .. ويضيف الله سبحانه وتعالى :

«وليس الذكر كالأنثى»

أى أن الأنثى التي جاءت أفضل من الذكر الذي قتنته .. وكأنما الأنثى لها مكانة أكثر مما تظنين .. فلا تقولي أن الله قد أعطاني أنثى ولم يعطني ذكرا .. لأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق .. ولأنه يعرف أن هذه الأنثى سيصبح لها شأن آخر .. وبعد ذلك نعرف أن والد مريم متوفى .. حيث أنها حين ولدت أرادوا أن يكفلوها .. وكلمة من يكفلها دليل على أن ولديها الطبيعي وهو الوالد غير موجود .

ما هي المعجزة ؟

ويكفلها زكريا .. ومعنى أن يكفلها زكريا - وفيه نبوة - أنه يأتي إليها بكل مقومات حياتها .. فعندما يدخل عليها المحراب يجد عندها رزقا .. ومعنى أن زكريا يجد عندها الرزق عند دخوله المحراب أو المكان الذي تصلى فيه مريم وتتسجد .. معناه أنه لم يأت بهذا الرزق .. وإنما الذي أتي به هو الله سبحانه وتعالى .. بدليل أن زكريا يسألها :

«أن لك هذا ، قالت هو من عند الله»

وابتدأت الصغيرة المكافولة مريم بفطرتها تفهم أن الله سبحانه وتعالى ليس له قانون يحكمه .. وأنه يرزق من يشاء بغير حساب ..

هنا يتوقف قليلا لنعرف أن الله سبحانه وتعالى حينها أعد مريم للمهمة التي ستقوم بها جعلها أولاً منذورة لله سبحانه وتعالى ولعبادته .. ثم جعل من يكفلها نبيا هو زكريا .. ثم بعد ذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يمهد لها فيين لها أن لكل شيء في هذا الكون سببا .. إلا أن هناك أشياء تحدث بلا أسباب .. أو يعطل الله فيها الأسباب .. وبدأ بمسألة الرزق الذي يرزقها به .. فاكهة في غير أوانها .. ورزق ليس موجودا في الأرض .. تمهد لما هو قادم .. واعلانا لها بأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء .. ثم بعد ذلك أتي الله سبحانه وتعالى بقضية أخرى هي دعاء زكريا بالولد .. عندما رأى الرزق بلا حساب عند مريم .. هنالك دعا زكريا رببه .. وطلب زكريا ولدا فاستجاب الله لدعائه .. وبشره بالغلام .. هنا تذكر زكريا عند هذه البشرى .. انهيار الأسباب عنده .. فقال يا ربني إنني رجل عجوز .. وامرأة عاقر .. أى أن الأسباب الكونية لإمكان الانجاح غير موجودة .. فكيف أستطيع أن أنجب طفلا .. فقال الله سبحانه وتعالى :

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنَ﴾ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلٍ وَكَذَلِكُ

شَيئًا ﴿لَهُ﴾

(سورة مريم)

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق زكريا .. ولم يك شيئا يذكر فهو يستطيع أن يعطيه الغلام دون التقيد بالأسباب .. هنا تذكير مرة أخرى لمريم بأن الله

ما هي المعجزة؟

سبحانه وتعالى إذا أراد فإنه يوجد الأشياء بدون الأسباب نفسها .. أولاً .. أعطاها الرزق بلا أسباب للرزق .. ثم استجابة لدعوة زكريا التي دعاها في المحراب .. فقال الله سبحانه وتعالى :

« هنالك دعا زكريا ربه »

وكلمة هنالك أن الدعاء تم في المحراب عند مريم لتشهد مرة أخرى ما يثبت فؤادها فيها أعده الله لها .. فترى الخلق يتم بدون أسباب الخلق .. فزكريا عجوز .. وامرأته عاقر .. ومع ذلك فإن الله قادر على أن يرزقه بولد .. وكل هذا هدفه ألا تهتز مريم مما ستتعرض له من ولادة دون ذكر .. ومع ذلك .. ومع كل هذه المقدمات اهتزت مريم حين رأت جبريل عليه السلام ..

﴿ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيَّاً ﴾

(سورة مريم)

أي أنه بعد كل هذه المقدمات من رزق بلا أسباب .. ومن ولد لزكريا مع انتفاء الأسباب .. مع كل هذه المقدمات اهتزت مريم عندما رأت جبريل حتى أن الله سبحانه وتعالى ليثبتهما قال لها :

« كذلك قال ربك هو على هين .. ول يجعله آية للناس »
والله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لمريم بعد كل هذه المقدمات من رزق بلا أسباب .. ومن خلق مع انتفاء الأسباب تتعجبين مما يحدث .. لقد قلت يا مريم :

« يرْزَقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

شهدت يا مريم أن الله سبحانه وتعالى حين يريد تعطيل نواميس الكون .. وایجاد المضيقات بلا أسباب .. يستطيع أن يفعل ذلك . شهادته في زكريا .. ومع ذلك تتعجبين .

معجزة ولكن ليست للتحدي

على أن هذه المعجزة .. معجزة خلق عيسى عليه السلام .. لم يكن مقصودا بها التحدي .. فالله سبحانه وتعالى لم يتحد بها أحدا .. لكن المقصود بها هو

ما هي المعجزة ؟

طلاقه القدرة .. أى أن الله يفعل ما يشاء .. ومقصود بها استكمال الخلق بحيث يصبح الخلق بدون ذكر أو أنسى .. ومن ذكر بلا أنسى .. ثم من ذكر وأنسى لمن شاء الله .. ثم من أنسى بلا ذكر .. وبذلك تكتمل مراحل الخلق .. ومعجزة أخرى لم يتحد بها الله بشرا .. وهي معجزة شق موسى للبحر بعصاه .. فعندما طارد فرعون وجنوده موسى عليه السلام .. ووصل أتباع موسى إلى البحر .. والبحر أمامهم .. وجند فرعون وراءهم .. قال قومه إننا لمدركون .. وهذه مسألة طبيعية في قوانين ومسبيات البشر .. فجنود فرعون على بعد قريب .. والبحر أمام قوم موسى .. فهم لا يستطيعون مواصلة الفرار أو الهرب .. وحينئذ رفع موسى الأمر إلى الله سبحانه وتعالى .. لم يقل سنصعد إلى جبل ليحمينا من فرعون وجنوده .. ولم يقل سنستقل سفينته ضحمة نهر ب بها من فرعون وجنوده .. ولم يقل إننا سنتجو بطريقه كذا وكذا .. وإنما حينها قال له قومه أنا لغرون .. رد الأمر إلى الله سبحانه وتعالى .. وقال بملء فيه : «**كلا ان معى رب سيهدىن**»

ومن هنا فإنه نقل المسألة من قانون الإنسان .. أو البشر .. إلى قانون الله سبحانه وتعالى .. فكانه قد نقل القدرة من القدرة البشرية المحدودة .. إلى قدرة الله سبحانه وتعالى التي ليس لها حدود ولا قيود .. والتي تتم بكلمة كن .. ومادام قد نقل القدرة منه هو إلى قدرة الله سبحانه وتعالى فقد أصبحت هذه القدرة ينطبق عليها لفظ سبحانه الله وليس كمثله شيء .. أى أنه لا عجب فيها سيحدث ولو خالف كل قوانين البشر .. لأن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى .. فأصبحت النجاة نابعة من قدرة الله وليس من قدرة البشر .. فقال الله سبحانه وتعالى له :

«**ان اضرب بعصاك البحر فانفلق** »

والمعروف أن الماء لا ينفلق لأن قوانين الماء هي الاستطراف .. أى لا يكون عاليا في مكان ومنخفضا في مكان آخر .. لابد أن يتساوى سطحه .. فإذا ضرب موسى بعصاه البحر فهو لا يستخدم قوانين الأرض .. ولا قوانين الماء .. ولا قدرات البشر .. لأنه رفع الأمر إلى الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا تكون القدرة والفعل لله فينشق البحر .. وينجو موسى وقومه .

هذا هو معنى المعجزة في إيجاز باللغ .. فالمعجزة هي خرق لنوايس

ما هي المعجزة ؟

الكون .. تحدي .. ولا يستطيع أحد معارضتها .. والمعجزات نوعان .. معجزات أعطاها الله سبحانه وتعالى لرسله ليتحدون بها قومهم .. ويثبتوا أنهم جاءوا بالهدى وبالرسالات من عند الله .. ويثبتوا الإيمان في قلوب الناس .. ويبينوا لهم الطريق المستقيم المؤدى إلى الحياة السليمة .. وهى قوانين الله في الأرض .. وليرعف الجميع أن هؤلاء رسل جاءوا من عند الله بمنهج وضعه الله للإنسان .. وهناك معجزات أخرى في الكون .. لم يرد الله بها التحدى .. ولكنه أراد إثبات طلاقته في الكون في أنه هو الخالق .. وأنه هو الموجد للأسباب والمسببات .. وأنه يقول كن فيكون بلا مسببات .. مadam الأمر قد رفع إلى الله سبحانه وتعالى بعيدا عن قدرات البشر وقوتهم ..

معجزة القرآن مستمرة

على أنه يلاحظ أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين . معجزات الرسل خرقت قوانين الكون .. وتحدى وأثبتت أن الذى جاءت على يديه رسول صادق من الله .. ولكنها معجزات كونية من رأها فقد آمن بها .. ومن لم يرها صارت عنده خبرا إن شاء صدقه .. وإن شاء لم يصدقه .. ولو لم ترد في القرآن لكان من الممكن أن يقال إنها لم تحدث .. إذن فالمعجزة الكونية الحسنة .. أى التى يحس بها الإنسان ويراها تقع مرة واحدة .. من رأها فقد آمن بها .. ومن لم يرها تصبح خبرا بعد ذلك .. على أن هذه المعجزات لا تتكرر أبدا .. هناك رأى يقول أن معجزات الرسل مع تقدم العلم يمكن أن يصل إليها البشر .. وهذا الرأى غير صحيح على الاطلاق .. فالمعجزة تبقى معجزة إلى يوم القيمة .. قد يقول واحد إننا قد نصل إلى قانون أو اختراع يشق الماء .. وحتى إن حدث هذا فإن المعجزة تبقى خالدة .. لأنه لا يمكن أن يأتى إنسان يضرب البحر بعصاه فينشق الماء إلا موسى عليه السلام .. وقد يقول بعض الناس أن عيسى عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأبرص .. وأن هناك دواء الآن لبعض الداءات .. أو لكل هذه الداءات .. ولكننا نقول له أن المعجزة ستبقى معجزة .. فلن يستطيع بشر أن يشفى إنسانا مريضا بمجرد لمسه .. أو الاشارة إليه إلا عيسى عليه السلام .. قد يقول بعض الناس إننا نستطيع أن نذهب من مكة إلى بيت المقدس ونعود عدة مرات كل

ما هي المعجزة ؟

يوم .. وهذا رد على معجزة الاسراء .. فنقول أبدا .. لن يستطيع إنسان أن يذهب بغير طائرة في الجو إلا محمد عليه السلام .. فضلاً عن الصعود إلى السماء السابعة .. ذلك أن المعجزة تظل خالدة في نوعها وأدائها مهما طال الزمن .. وهي معجزة أساسها الاعجاز بالطريقة التي تمت بها .. ولا تصل إليها القوانين التي يكشف عنها الله سبحانه وتعالى من علمه للبشر .. بل تظل المعجزة معجزة ..

على أننا إذا نظرنا إلى المعجزات السابقة وجدنا هذه المعجزات فعلاً من أفعال الله .. وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله الله سبحانه وتعالى .. البحر انشق لموسى .. ثم عاد إلى طبيعته .. النار لم تحرق إبراهيم .. ولكنها عادت إلى خاصيتها في الاحتراق .. ولكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم صفة من صفات الله .. وهي كلامه .. والفعل باق ببقاء الفاعل له .. والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه ..

على أن معجزات الله سبحانه وتعالى التي يؤيد بها رسالته .. أو يريد لها آية من آياته .. تختلف عن معجزات البشر في أن الله سبحانه وتعالى يجعل من يقوم بالمعجزة يملك خاصية هذه المعجزة وقتها .. أي أن الله سبحانه وتعالى يجعل الضعيف قويا .. وغير القادر قادرًا .. والذى لا يستطيع شيئاً يستطيع أن يفعله .. فمعجزة عام الفيل مثلاً التي أرسل فيها الله سبحانه وتعالى طيراً أبابيل .. أفت جيش أبرهه عندما جاء ليحطم الكعبة .. جعل الله المعجزة في أن الطير الضعيف يستطيع أن يهزم فيلاً جباراً قوياً .. ويستطيع أن يفني جيشاً من أقوى جيوش العالم .. إن لم يكن أقواها في ذلك الوقت .. ولقد كانت المعجزة فيها قدرة هائلة حتى أنها هزت نفوس بعض المؤمنين الذين لم يروها .. أو لم يشهدوها .. وجاءوا بعد عصر النبوة .. ولقد أثير حول هذه المعجزات حديث طويل في أنه كيف تستطيع الطير وهي تمسك بحجارة صغيرة جداً أن تفني جيشاً من الأفيال .. ولو هدمت فوقه عمارة لخرج سالماً معافاً .. ووجد بعض العلماء في هذا الكلام تجاوزاً لحدود العقل .. فبدأوا يحاولون تخريجها تخريجاً عقلياً بأن يقولوا أن هذه الطير كانت تحمل جراثيم فتك بهذه الفيلة إلى آخر هذا الكلام الذي يحاولون به تبرير المعجزة .. والمعجزة لا تبرر أبداً لماذا؟ لأنها لا تخضع لقوانين البشر .. فالفاعل هو الله سبحانه وتعالى .. ومعجزة الفيل

ما هي المعجزة ؟

حدثت كما رواها القرآن تماماً من ناحية الطير .. ومن ناحية الحجارة .. ذلك أن هذه المعجزة وقعت في العام الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم .. ورسول الله بعث في الأربعين من عمره .. أى أنه عندما نزلت هذه الآية كان هناك من شهدوا عام الفيل .. من أعمامهم قد بلغت الخامسة والخمسين .. والستين .. والخامسة والستين .. والسبعين .. وما فوق ذلك .. فلو أن القرآن جاء برواية منافية أو مخالفة لما شهدوه لقالوا أن هذا لم يحدث .. وأن طيراً لم تأت .. وأن حجارة لم تستخدم .. ولكن كون القرآن جاء بهذا .. وهناك شهود .. وشهود من الكفار الذين يه�ئهم الطعن في الدين .. ويهذبهم أن يشكوا فيه .. ولم يستطعوا أن يجادلوا في هذه الآية .. إذن فالطير قد جاءت .. والحجارة قد استخدمت .. وهذه معجزة من معجزات الله تحمل سمة المعجزات وهي أن الله سبحانه وتعالى عندما يريد أن يحقق المعجزة يعطي القوة أو القدرة لمن يختاره لتحقيقها .. فهنا أعطى القوة للطير لتغلب الفيل .. عكس المنطق تماماً .. وأعطى القدرة لموسى فغلب السحرة وأعطاه قدرة شق البحر فضرب الأرض بعصاه فشق البحر .. وأعطى لعيسى عليه السلام قدرة شفاء المرضى وحياته الموقى .. كل هذا بإذن الله .. وهنا الاختلاف بين الاعجاز الإلهي .. وأى اعجاز آخر .. فأنت حين تريد أن تجعل رجلاً ضعيفاً يحمل حملاً ثقيلاً لا تستطيع أن تنقل إليه قوتك ليحمل هذا الحمـل ولكنك تستطيع أن تحمله عنه .. وأى اختراع جديد يخدم الإنسان لا يستطيع أن يعطي الإنسان قدرة خارقة ولكنه يساعدـه باستخدام شيء خارجي .. أما الله سبحانه وتعالى .. فإنه هو وحده المستطـيع أن يجعل الـضعيف قـويـاً .. والعاجز قادرـاً .. والـقوىـ لا حـولـ له ولا قـوـة .. ومن هنا فإذا انتصر رجل ضعيف على رجل قـوى .. فإنـكـ تعلمـ أنـ الـضعـيفـ قدـ نـصـرـهـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ .. اللهـ أـعـطـىـ لإـبرـاهـيمـ مـثـلاـ قـدرـةـ الـخـلـقـ حـيـنـهاـ طـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـأـقـ بالـطـيرـ وـيـقـطـعـهـ .. ثـمـ يـضـعـ عـلـىـ كـلـ جـبـلـ جـزـءـاـ ثـمـ يـدـعـوـهـاـ فـتـأـقـ لـهـ سـعـيـاـ .. أـىـ أـنـ إـبـرـاهـيمـ هـوـ الـذـيـ دـعـاـ .. واللهـ هـوـ الـذـيـ أـذـنـ .. وـشـاءـ ..

على أن معجزة القرآن تختلف في أوجه كثيرة عن المعجزات الأخرى .. وهذا ما سنبيـهـ فـيـ الـفـصلـ الـقـادـمـ ..

الفصل الثاني

مُعِزَّةُ الْقَرآنِ وَكَيْفَ يَخْتَلِفُ

معجزة القرآن وكيف تختلف



معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين في كثير من زوايا الاعجاز . . وفي القرآن اعجاز لا يتباهى إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره . . حيث يتبيّن أن للقرآن وجوه اعجاز أخرى أو جديدة تزيد في معنى الاعجاز . . أو تعطى أبعاداً جديدة لما يقال . . بل إن اعجاز القرآن موجود أحياناً في حرف . . حرف من القرآن يحمل اعجازاً رهيباً . . وتلك حقيقة ستناوتها بالتفصيل في الفصول القادمة . . ولكن الذي يجب أن نعرفه الآن . . أن للقرآن عطاء لكل جيل مختلف عن عطائه للجيل السابق . . ذلك أن القرآن للعالمين . . أى الدنيا كلها . . لا يقتصر على أمة بعينها . . وإنما هو الدين الكامل لكل البشر . . ومن هنا فإنه يجب أن يكون له عطاء لكل جيل . . وإلا لو أفرغ القرآن عطاءه الاعجازي في قرن من الزمان مثلاً لاستقبل القرون الأخرى بلا عطاء . . وبذلك يكون قد جد . . والقرآن متجدد لا يجمد أبداً . . سخى يعطي ذاتها . . قادر على العطاء لكل جيل بما مختلف عن الجيل الذي قبله . . وبنفس الآية . . أى أن هناك آيات من القرآن تعطينا الآن عمقاً جديداً في معناها . . ذلك العمق لم يكن أحد يصل إلى الفهم الدقيق في أول وقت نزول القرآن . .

ولكى تكون هذه النقطة واضحة يجب أن نفرق بين شيئين اثنين في القرآن الكريم . . الأحكام الخاصة بمنهج العبادة . . أو ما يحدده الله للبشر ليقوموا بعبادته بالطريقة التي حددتها الله سبحانه وتعالى ليعبد في الأرض . . كلمة افعل . . ولا تفعل . . هذا حلال . . وهذا حرام . . هذه الأحكام التكليفية لا تغيير فيها ولا تبديل . . وإنما كما فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أو كما فسرت في عهد نزول القرآن . . الصلاة خمس مرات . . لا اجتهاد في هذا . . شهادة أن لا إله إلا الله . . الزكاة . . ما حرم على الإنسان وما أحل له . . الزواج والطلاق . . كل ما شرعه الله من أحكام بينه الرسول صلى الله عليه وسلم وفسره . . ولا اجتهاد فيه . . لا يستطيع أحد أن يأقِن ويقول لنا أن الصلوات أربع مرات في اليوم . . ويفسر هذا بأى وجه من التفسير . . هذا غير مقبول . . وليس مجال المناقشة . . افعل ولا تفعل . . الأحكام التي إذا فعلتها نجوت . . وإذا لم تفعلها عوقبت . . هذه لا تبديل فيها ولا اجتهاد . . لأن الله

معجزة القرآن وكيف تختلف

سبحانه وتعالى هو الذي يحدد لنا كيف نعبده .. وهو الذي يختار لنا الطريق ..
نأتي بعد ذلك إلى الأشياء المتصلة بقوانين الكون والخلق .. تلك الأشياء التي
لم يكن للعقل البشري الاستعداد العلمي وقت نزولها لفهمها تماما .. مثلا
كروية الأرض .. احدى الحقائق التي تحدث عنها القرآن .. الغلاف الجوي
المحيط بالأرض احدى الحقائق التي تحدث عنها القرآن .. علم الأجنحة تناوله
القرآن .. دوران الأرض حول نفسها .. الزمن .. ونسبة الزمن .. وعدد من
حقائق الكون الأساسية .. نجد أن الآيات التي تتناول هذه الأشياء من الرسول
صلى الله عليه وسلم عليها مرورا وترك للعقل في كل جيل أن يأخذ قدر
حجمه .. والمعجزة هنا في القرآن انه يعطي لكل عقل قدر حجمه .. ويعطي
لكل عقل ما يعجبه ويرضيه .. فترى غير المتعلم يطرب للقرآن ويجد فيه
ما يرضيه .. ونصف المتعلّم يجد في القرآن ما يرضيه .. والمتأخر في العلم يجد
في القرآن اعجازا يرضيه ..

هذه واحدة .. من اعجاز القرآن الكريم .. انه يقدم لكل نفس باستخدام
الآيات والألفاظ التي تؤدي إلى المعنى .. فإذا ما كشف الله للبشر عن سر من
أسرار كونه .. ورجعنا إلى الآية نجد أنها تؤدي نفس المعنى ..

رب المغارب

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك .. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ..

«رب المشرق والمغرب»

«رب المشرقيين ورب المغاربيين»

«رب المغارب»

لو أخذنا كل آية من هذه الآيات وقت نزول القرآن الكريم على حجم تفكير
العقل البشري في ذلك الوقت .. نجد أن مفهوم المشرق هو جهة شروق
الشمس .. ومفهوم المغرب هو جهة غروب الشمس .. فعندما يقول الله
سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب .. فليس هناك تعارض بين العقل والآية في
ذلك .. نأتي بعد ذلك للأية الكريمة «رب المشرقيين ورب المغاربيين» نقول إذا
كان المشرق هو جهة الشرق .. فإن رب المشرقيين معناها أنها تجمع بين عمومية
الجهة وهي الشرق .. وبين المكان المحدد لشروق الشمس .. بمعنى أنك تقول

معجزة القرآن وكيف تختلف

هذا هو الشرق .. وهذا هو الغرب .. وتشير بيده إلى جهة المشرق أو المغرب .. فإذا أردت أن تحدد مكان شروق الشمس .. فإنك تقول أن الشمس تشرق من هنا .. وتحدد المكان بالضبط .. هذا هو التفسير في وقت نزول الآية .. ثم نأتي بعد ذلك إلى « رب المشارق والمغارب » .. التفسير وقت نزول الآية هو أن كل بلد له مشرق وله مغرب .. ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى هو رب المشارق كلها والمغارب كلها ..

إذا جئنا إلى هذه الآيات اليوم لوجدنا تفسيرها مختلف .. رب المشرق والمغرب .. هذه قالوا عنها عمومية .. ولكن الله سبحانه وتعالى قرن كلمة المشرق بالمغرب لأنه لا يوجد مشرق بدون مغرب .. كروية الأرض تحتم هذا .. ففي الوقت الذي تغرب فيه الشمس على جهة .. في نفس الوقت .. وفي نفس اللحظة تشرق على جهة أخرى .. إذن قول الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب .. ولم يقل رب المشرق ورب المغرب .. أو الله المشرق ، أو الله المغرب .. حيث كان المعتمد وقت نزول القرآن أنها جهتان مختلفتان تماما .. متقابلتان بالنسبة للعين المجردة .. ولكن قول الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب .. معناها أن الشروق والغروب يتم في وقت واحد .. أي أن الشمس تغرب على بلد في نفس الوقت تشرق فيه على بلد آخر ..

نأتي بعد ذلك للآية الكريمة :

« رب المشرقين ورب المغارب »

لماذا قال المشرقيين بالذات والمغاربيين .. إذا نظرنا إلى الكرة الأرضية نجد أنها مقسمة إلى جزءين .. نصف مضيء .. ونصف معتم .. والنصف المضيء له مشرق ومغرب .. بينما النصف المعتم يسبح في ظلام دامس .. فإذا استدارت الكرة تماما يواجه النصف المظلم الشمس والنصف المضيء يصبح ظلاما .. أصبح نصف الكرة الذي كان مظلما له مشرق .. ونصف الكرة الذي كان مضينا يسبح في ظلام .. إذن فالكرة الأرضية في عموميتها لها مشرقا .. مشرق تضيء منه الشمس نصف الكرة ومغرب .. ثم تستدير الكرة كلها .. فيأتي نصف الكرة الآخر فيكون له مشرق ومغرب .. إذن فآية رب المشرقين ورب المغاربيين تعرض لنا بأن نصف الكرة يكون ظلاما ليس له مشرق ولا مغرب .. والنصف الآخر يكون مضينا له مشرق ومغرب .. وعندما ينعكس الوضع يصبح هذا

معجزة القرآن وكيف تختلف

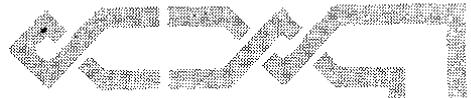
النصف له مشرق ومغرب .. وهذا النصف لا مشرق له ولا مغرب .. وهكذا في عمومية الكرة الأرضية .. هناك مشرقان ومغاربان .. فإذا انتقلنا إلى رب المشارق والمغارب .. نجد أنه بعد أن تقدم علم الفلك لا يوجد مشرق واحد .. ومغرب واحد لأى دولة في العالم .. وإنما هي مشارق ومغارب ..

إذن فزاوية الشروق تتغير . وزاوية الغروب تتغير .. ولكن الحس لا يدرك ذلك .. بل إنه إذا نظرنا إلى الكرة الأرضية نجد أنه في كل جزء من الثانية مشرق تشرق الشمس فيه على مدينة وتغيب عن مدينة أخرى .. أى أن هناك ملايين المشارق والمغارب لكل بقعة من الأرض .. المشرق والمغرب للبلدة الواحدة لا يتكرر طوال أيام السنة .. لا تشرق الشمس على بلدة من نفس مكانها الذي أشرقت منه في الأمس .. أو تغرب على بلد من نفس مكانها الذي غربت منه بالأمس .. وإن كانت جهة الشرق واحدة .. إلا أن المشرق تختلف زاويته كل يوم .. وكذلك المغرب .. وتختلف في فصول السنة .. وفي أيام الصيف عن الشتاء عن الخريف عن الربيع .. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا من حركة دوران الأرض حول الشمس مرة كل عام .. فإن هذه الحركة هي التي تجعل لكل يوم مشرقاً ومغارباً بزاوية مختلفة .. بل بتوقيت مختلف عن اليوم الآخر .. وأبسط شيء لدرك هذا بدلاً من الدخول في التعقيدات الفلكية هو صيام شهر رمضان .. ففى كل يوم تفطر في مغرب مختلف عن المغرب الآخر في الوقت .. وكذلك تمتنع عن الطعام في مشرق مختلف عن المشرق الآخر في الوقت .. وأوقات الصلاة تختلف كل يوم من أيام العام .. تبعاً لحركة الأرض حول الشمس ..

واختلاف المشارق والمغارب يبين - بخلاف أن الأرض تدور حول الشمس - إن الأرض كروية .. فلو كانت الأرض مسطحة .. كان لابد أن تطلع الشمس من مشرق واحد .. وتغيب من مغرب واحد .. حينئذ لا يكون هناك مشارق ومغارب .. ولكن كونها كروية .. وكونها تدور حول نفسها وحول الشمس هو الذي يجعل هناك مشارق ومغارب ..

والذي أريد أن أقوله أن عطاء القرآن في الأولى ، رب المشرق والمغرب لم يلغ عطاءه في الثانية وهو رب المشرقين ورب المغاربيين .. وهو لا يلغى عطاءه في

معجزة القرآن وكيف تختلف



الثالثة وهو رب المغارب ..

بل أن التقدم العلمي الذي غير كثيراً من مفاهيم الكون لم يستطع أن يغير معنى الآيات الكريمة .. بل انسجم معها .. ويحضرني قول قرأته في أحد المخطوطات القديمة يقول كاتبه «يا زمن وفيك كل الزمن» ومعنى هذا القول ان الزمن نسبي في الكون . فمثلاً عندما أؤدي أنا الظهر هناك أناس في مكان آخر يصلون العصر .. وأناس في مكان ثالث يصلون المغرب .. وأناس في مكان رابع يصلون العشاء .. وأناس في مكان خامس يصلون الفجر .. أى أنه في الوقت الواحد يؤذن الله على ظهر الأرض الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر .. إذن فالله مذكور في كل زمن وبجميع أوقات الزمن ..

هذه آية من آيات القرآن الكريم اتضحت دقة معناها عندما تقدم العلم .. كان لها عطاء وقت نزول القرآن .. ولها عطاء مختلف الآن .. وربما يكون لها عطاء آخر في الأزمنة القادمة بعد أن يتقدم العلم .. والاعجاز هنا أن القرآن يعطى لكل جيل عطاءه .. ويعطى لكل عقل حاجته دون أن يتناقض مع الحقيقة العلمية أو يتصادم مع حقائق الكون .. فهو متجدد العطاء دائمًا .. وحقائق الكون لا يمكن أن تتصادم أبداً مع القرآن .. لأن الله هو الفاعل .. والله هو الخالق .. والله هو القائل ..

هذه إحدى نواحي اختلاف القرآن الكريم في معجزاته عن الكتب السماوية الأخرى .. وهو ما سأتحدث عنه بالتفصيل في الفصول القادمة ..

حفظ القرآن وتطبيق القرآن

على أن هناك ناحية ثانية وهي أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل اختلافاً آخر .. فكل رسول كانت له معجزة وكتاب ومنهج .. معجزة موسى العصا .. ومنهجه التوراه .. معجزة عيسى الطب .. ومنهجه الانجيل .. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزته هي عين منهجه .. ليظل المنهج محروساً بالمعجزة وتظل المعجزة محروسة بالمنهج .. وهنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن داخلة في نطاق التكليف .. بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يكلف عباده بالمحافظة على هذه الكتب ..

ماذا حدث عندما كلف الله عباده بالمحافظة على هذه الكتب؟

معجزة القرآن وكيف تختلف

نسوا حظاً مما ذكروا به . . أى أنهم نسوا ما ذكرهم الله سبحانه وتعالى به . .
وما لم ينسوه حرفوه . . لولوا ألسنتهم به . . وما لم يلووا ألسنتهم به زادوا عليه
وجاءوا بأشياء من عندهم وقالوا إنها من عند الله ليشتروا بها ثمنا قليلاً . . إذن
فتتكلف الله سبحانه وتعالى لعباده أن يحافظوا على الكتب السابقة ، أدخلوا فيها
هوى النفس وأخضعوها للتحرير . . لكن عندما أنزل الله سبحانه وتعالى
القرآن قال :

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنما له لحافظون»

لماذا . . أولاً لأن القرآن معجزة . . وكونه معجزة لا بد أن يبقى بهذا النص
وإلا ضاع الاعجاز . . وثانياً لأن الله جرب عباده في الحفاظ على الكتب السابقة
فلم يحفظوها وحرفوها . .

وهنا نلاحظ شيئاً هاماً يبين لنا أن معجزة القرآن محفوظة من الله سبحانه
وتعالى . . لو أخذنا خطين . . خط تطبيق القرآن والعمل بتعاليمه . . وخط
المحافظة على القرآن . . نرى أن تطبيق القرآن والعمل به كلما مر الزمن قل
وضعف . . أما المحافظة على القرآن . . فكلما مر الزمن زاد بشكل عجيب . .
حتى إنك ترى القرآن الآن في كل مكتب . . وفي السيارات . . وعلى صدور
السيدات . . وفي المنازل . . وفي كل مكان . . وتتجدد تجميلاً في القرآن من أناس
لا يؤمنون به . . فترى رجلاً ألمانياً . . مثلاً يكتب القرآن كله في صفحة
واحدة . . ويخرجه بشكل جميل وهو ربما لم يقرأ القرآن في حياته . . وتتجدد اليابان
مثلاً تتفنن في طبع المصاحف الجميلة ، فإذا سألت لماذا لا يفعلون ذلك في
الكتب الأخرى؟ نقول لك إنهم مسخرون لذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى هو
الذي يحفظ القرآن . . وكل هذا الحفظ الذي تراه هو من عمل الله . . وليس من
عمل الإنسان . . وأنت حين ترى القرآن في مكتب أو سيارة أو منزل وتسأل
صاحب المنزل أو السيارة . . أو المكتب هل تعمل بهذا القرآن؟ هل تؤدي
الصلوة كما يجب؟ يقول لك لا؟ إذن لماذا تختفظ بالقرآن في منزلك دون أن
تعمل به؟ فلا يستطيع أن يجيب أو يقول لك إنه بركة . .

ومن هنا فإن غفلتنا عن تعاليم القرآن كسلوك في الحياة لا تتمشى مع ازدياد
الحافظ على القرآن الكريم . . أحياناً تجد غير المسلم يحافظ على القرآن
ويحمله . . وأحياناً تجد من لا يطبق القرآن يقتني أكبر عدد من المصاحف . .

معجزة القرآن وكيف تختلف

ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أن الذي يحفظ القرآن هو الله .. وإنه كلما نقص خط العمل بالقرآن ازداد خط الحفاظ عليه ، لأن العباد هم المكلفوون بالعمل .. ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحفظه ..

تنقل بعد ذلك إلى نقطة ثانية وهي أن القرآن نزل رحمة للعالمين أو للعالم أجمع .. وهذه أحدى معجزات القرآن .. فقد كان الله سبحانه وتعالى يرسل الرسل المختلفة إلى المجتمعات المختلفة لتعالج الداءات وتهدى الناس إلى سبيل الله .. وكان لكل مجتمع داء يختص به دون سائر المجتمعات البشرية .. لذلك اقتضى الأمر أن يأتِ رسول ليعالج داءات هذا المجتمع .. بل إن الله سبحانه وتعالى أرسل أكثر من رسول في وقت واحد لمعالجة داءات مختلفة . فإن إبراهيم عليه السلام .. ولوط أرسلا في وقت واحد .. لماذا ؟ لأن المجتمعات في ذلك الوقت كانت مجتمعات منعزلة لا يعرف بعضها عن بعض شيئا ، وذلك بسبب سوء المواصلات وعدم وجود التقدم العلمي الذي يتبع سرعة الاتصال بين هذه المجتمعات .. بل إن هذه المجتمعات كانت تعيش وتفنى دون أن يدرى مجتمع منها عن الآخر شيئا .. كما أن الداءات في هذه المجتمعات كانت مختلفة ..

فمنهم من كان لا يوف الكيل والميزان .. ومنهم من كان يعبد الأصنام .. ومنهم من كان يفسد في الأرض ، ولكن بعد أن تقدم العلم أصبح العالم كله مجتمعا واحدا .. يحدث شيء في أمريكا .. وبعد دقائق تجده في مصر . ويحدث شيء في اليابان .. وبعد ساعات تجده في أوروبا .. إذن الاتصالات أصبحت سهلة وميسرة .. والعالم كله اقترب من أن يصبح وحدة واحدة .. ومع تعدد الاتصالات وسهولتها توحدت الداءات .. فأصبح ما يشكو منه بلد تشكو منه معظم البلاد الأخرى .. فكان لا بد من وحدة العلاج .. فمثلا الدعاية للكفر والشيوخية داء استشرى في كل أنحاء العالم .. ولم يترك دولة دون أخرى .. النظام المالي والربا تجده في الدنيا كلها .. أكل المال بالباطل والسرقة داء استشرى في معظم دول العالم .. إذن الداءات أصبحت واحدة .. وهذا يقتضي وحدة العلاج .. ومن هنا جاء الدين الإسلامي للعالمين .. أي للدنيا كلها .. لأن وحدة الداء تقتضي وحدة العلاج .. وهذا من معجزات القرآن الكريم .. فإن الله قد وضع وحدة العلاج قبل أن تتحقق وحدة الداء فسبق بذلك علم

معجزة القرآن وكيف تختلف

القرآن حدد مصدر العلم للبشر

فرق آخر بين معجزة القرآن والمعجزات الأخرى ، هو أنه حدد مصدر العلم البشري .. وروى لنا كيف يتعلم الإنسان .. فقال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ..

«علم آدم الأسماء كلها»

ومن هنا حدد مدخل العلم إلى البشر .. فأنت حين ت يريد أن تعلم طفلك .. تبدأ بتعليميه الأسماء .. فاللغة هي وسيلة للتواصل بين البشر .. فهذا الإنسان الذي خلقه الله .. والذي عمر الأرض .. وأقام كل ما نشاهده من مدينة وحضارة .. كان يجب أن تكون هناك وسيلة للتواصل بين البشر .. بدون وجود وسيلة للتواصل لا يمكن أن تقوم حضارة أو يتم تعايش حقيقي .. أو ينتقل العلم من جيل إلى جيل ليتقدم كل جيل ويأخذ حظه من المعرفة عن الجيل الذي سبقه .. ويضيف إليه .. وكانت هذه الوسيلة هي اللغة أو الكلمة التي تسمعها الأذن وتتكلم بها اللسان .. وإذا ولد الإنسان أصم لا يسمع فإنه لا ينطق .. وأمامنا الأمثلة في العالم أجمع .. على أن أي إنسان لا يسمع لا يستطيع أن ينطق ..

إذن فليست اللغة هي فصيلة دم ولا بيئة .. ولا جنسا .. ولا وراثة .. ولا تعتمد على بشر معين .. وإنما ما نسمعه نتكلم به .. فلو إنني أتيت بإنسان فرنسي أو هولندي .. أو أفريقي .. أو من أي جنسية في العالم .. أتيت به كطفل رضيع .. وتركته في بيئه لا تتكلم إلا اللغة العربية .. فإنه سيتكلم لغة البيئة التي عاشها .. بصرف النظر عن جنسيته .. ولو إنني أتيت بإنسان عربي ووضعته في بيئه لا تتكلم العربية لصعب عليه بعد ذلك ^{أن} يتحدث باللغة العربية ..

إذن ما تسمعه الأذن يحكىء اللسان .. فلا جدوى من النطق بألفاظ إلا إذا كانت معانيها قد شرحت أولا والأصل أن يوجد الشيء ثم يوضع له اسم .. فأنت مثلا لا تستطيع أن تطلق لقب كوب إلا إذا وجد الكوب أولا .. وإلا فالكلمة ليس لها معنى ..

نعود إلى معجزة القرآن .. والقرآن كلام الله .. والكلام هو أساس الحضارة .. وأساس العلم الذي نزل من الله إلى الإنسان .. فالله سبحانه

معجزة القرآن وكيف تختلف

وتعالى يقول في كتابه العزيز ..
« وعلم آدم الأسماء كلها »

ونحن الآن حين نريد أن نعلم طفلاً أن يتكلم فلابد أن نبدأ بـأن نعلمه الأسماء أولاً .. ولا نبدأ بـأن نعلمه الأحداث .. بل نبدأ ونقول له هذا قلم .. وهذه كراسة .. وهذا أسد .. وهذا كوب .. وهذا طعام .. وهذا طريق .. وهذا نور .. وهذا ظلام ..

إذن نحن نعلمه الأسماء أولاً .. فإذا ما تعلم الأسماء أصبح يستطيع بعد ذلك أن يتعلم وأن يتكلم ذلك لأننا لا نعلم الطفل الأسماء في المدرسة فقط .. بل نحن نعلمه بالفطرة .. الطفل المتعلّم والجاهل يتّعلم الأسماء .. فالآم تعلم الطفل الذي لا يذهب إلى المدرسة .. والمدرسة تعلم الطفل الذي يذهب إلى المدرسة .. ولكن الاثنين لكي يستطيعا التفاهم في الحياة يجب أن يتّعلما الأسماء أولاً .. فنجد أن الطفل الجاهل والمتعلّم يعلم معنى الأسماء .. فهو يعلم معنى الكلمة طريق .. أو كوب .. أو أسد .. أو نعامة أو إلى آخره .. لا فرق بين جاهل ومتعلّم .. لأن هذا هو مدخل التفاهم بين البشر .. وأساس هذا التفاهم كما وضعه الله سبحانه وتعالى حين « علم آدم الأسماء » .. فأصبحت هي الأساس في العالم أجمع .. والآن بعد أربعة عشر قرناً نجد أن أساس العلم في الدول المتقدمة .. والدول غير المتقدمة هو الأسماء .. بل إن الدول المتقدمة لسرعة تعليم الأسماء باعتبارها أساس التفاهم في الحياة .. تأقّب بصور لتعلم الأطفال الأسماء دون أن تضيع الوقت بتعليم الحروف الأبجدية .. ويستطيع الطفل أن يتعلم أي شيء آخر .. بعد ذلك ..

القرآن منهج للحياة

معجزة القرآن تختلف أيضاً عن معجزات الرسل الأخرى .. إنه لا توجد قضية تمس حياة البشر إلا ويوجد في منهج الله سبحانه وتعالى ما يعالج هذه القضية .. نحن نقول يعالج .. لأن التشريعات عندما تأقّب تعالج واقعاً موجوداً في المجتمع وفساداً انتشر .. ومن هنا فإن القرآن قد تعرض لقضايا الكون جميعها وأوجدها العلاج ، وأوجدها الشفاء والذى يدعى البعض أن منهج الله لا يعالج قضيّاً العصر .. دليل على أنهم لم يدرسوا هذا المنهج .. ولم يتمعمقاً

معجزة القرآن وكيف تختلف

فيه . . فما من قضية أساسية في المجتمع إلا ويعالجها القرآن الكريم . . ولكن هنا يقع بعض اللبس . . فقد يقول بعض الناس : إن القرآن مثلا لا يعالج قضيائنا زيادة إنتاج الأرض أو الاختراعات الحديثة إلى آخر هذا الكلام . . والذى يجب أن يعرفه الناس جميعا أن القرآن هو منهج عبادة . . ولكنه حينما يأتى ليعالج ، لا يعالج الخصوصيات . . وإنما يضع المبدأ . . فهو حين يطلب منا أن ننقب في الأرض ونبحث عن آيات الله . . وأن نتعلم في أمور الدنيا . . وأن نعمل وننتج . . ونعمل الأرض إنما هو يطلب منا لو اتبعناه لاستطعنا أن نصل إلى أكبر تقدم يمكن أن يتحقق بشر . . إذن المبدأ موجود في ضرورة البحث في الكون . . ومواصلة البحث والدراسة . . ومن يبحث ويدرس في قلبه إيمان بالله . . وشعور بعظمته وقدرته يستطيع أن يحقق الكثير . . والكثير جدا . . المبدأ هو أن نزرع وننمر ونكشف عن آيات الله فيها . . فإذا تقاعسنا عن هذا كله . . وإذا لم نفعل ذلك . . فلا يمكن أن نستغرب . . أو أن نتعجب لأن غيرنا من الأمم قد تقدم علينا . . فنحن تركنا منهج الله في العمل . . فلا بد أن يتركنا قانون الله في النتيجة . . وهذا هو الجمال في الحياة . . فلا يمكن أبدا أن يكون هناك جمال في الحياة . . إذا كان الطالب المجد . . والطالب الذي لا يقرأ كتابا في حياته كلاما ينجح . . ولا يمكن أن يكون هناك جمال في الحياة إذا كان الإنسان الذي يحرث الأرض ويعتنى بها ويسقيها ويعالجها من الآفات . . والإنسان الذي يترك الأرض ولا يعمل فيها شيئا بل يهملها تماما . . كلاما يجني نفس الحصول ، إذا حدث هذا فإن الجمال في الحياة يختفى ويصبح كل شيء قبيحا . . فلا تجد طالبا ينبع . . ولا عالما يخترع . . ولا إنسانا يضيف إلى الحياة شيئا . . ولا مدينة تبني مادام من يعمل ومن لا يعمل سيحصلان على نفس النتيجة . . ويتحققان نفس الشيء . . ولكن الجمال في الحياة في تناسب النتيجة مع العمل . . وعن هذا يتحدث القرآن في الدنيا والأخرة . .

وبذلك تكون قد عدنا أوجه الخلاف في معجزة القرآن عن معجزات الرسل الأخرى . . فالقرآن عطاء لكل جيل مختلف عن عطائه للجيل السابق . . والقرآن للعالمين ، أى للدنيا كلها . . وليس لقوم محددين والقرآن يحوى الحقائق الأساسية في الكون كله . . ويأى بها واضحة في ألفاظ تنسجم مع قدرة العقول التي عاشت وقت نزول القرآن . . وقدرة العقول في كل جيل بعد ذلك . .

معجزة القرآن وكيف تختلف



فالقرآن يعطي لكل عقل حجمه ..

ومعجزة القرآن تختلف أيضاً في أن الله هو الذي يحفظ كتابه ، أما معجزات الرسل السابقة .. فقد كلف الله البشر بحفظها فحرفوها ونسوا ما ذكروا به .. وأضافوا إليها .. ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن من أن يحدث فيه أي تبديل أو تغيير .. كما أن القرآن كلام الله الذي بدأه مع آدم .. والذي هو أساس العلم البشري كله ..

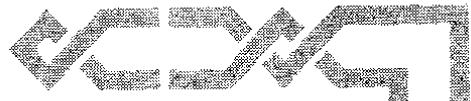
ولكن القرآن جاء يتحدى العرب في اللغة .. وفي البلاغة . وذلك ما سنتحدث عنه في الفصل القادم ..



الفصل الثالث

المعرفة الحوية في القرآن الكريم

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم



القرآن كلام الله سبحانه وتعالى . . . ومادام كلام الله فيجب أن يكون معجزا . . لأن قائله هو الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء . . ولقد أذهلت بلاغة القرآن عند نزوله ، العرب ، وهم أساتذة البلاغة في ذلك الوقت . . وبهتوا لما فيه من اعجاز . . ومن بلاغة . . وقال بعض العرب في ذلك الوقت ان أساتذة البلاغة قادرون على أن يأتوا بمثل هذا الأسلوب . . ولكنهم صرفوا من الله على أن يأتوا به . . وهذا القول هو اثبات بأن القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى . . فلو أنه ليس كلام الله لما صرف الله العرب عنه أن يأتوا بمثله . . وأثبتوا أن اعجاز القرآن الكريم موجود . . ولكنهم جعلوا هذا الاعجاز بالقدرة . . أي أن قدرة الله سبحانه وتعالى قد صرفتهم عن أن يأتوا بمثله . . وكان هدفهم أن ينفوا الاعجاز عن ذاتية القرآن . . في أن بشرا لا يستطيع أن يأتى بمثله . . وبهذا النفي الذي أرادوه أعطوا للقرآن معجزة أخرى ، وهي معجزة القدرة . .

على أن اعجاز القرآن يجب أن ننظر إليه من الدائرة الأولى التي استقبلته . . وهي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فالمنطقى والطبيعى مادام القرآن كلام الله سبحانه وتعالى ، يكون أبلغ الكلام . . ويكون فيه معجزة . . وبالبلاغة القرآن لها عناصر لابد أن تتوافر فيها . . فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال . . ومقتضى حال المخاطب بالذات . . ولكن العجيب أن القرآن في هذه الناحية ، وهي مطابقة الكلام بمقتضى الحال . . فيه معجزة كبرى . . فأحوال الناس متعددة . . متغيرة . . وأنت حين تخاطب إنسانا إذا لم تعرف ما في نفسه . . فإنك لا تستطيع أن تصل إلى أعماقه . . ومخاطبتك لرئيس الدولة مثلا . . أو الأمير . . تختلف في أسلوبيها وطريقتها عن مخاطبتك لخادمك أو من يعمل عندك . . تختلف في أسلوبيها عن مخاطبتك لزوجتك وأولادك . . وكل ذلك مختلف عن مخاطبتك لرئيسك في العمل . . أو لمرؤوسيك . . إلى آخر النوعيات التي تخاطبها . . بل إن الأمر يتعد أكثر من ذلك إلى الحالة النفسية التي فيها المخاطب . . فإنسان غاضب في قمة غضبه لا يمكن أن تخاطبه بنفس الأسلوب . . وبينس الطريقة التي تخاطب هذا الشخص ذاته بها عندما يكون في حالة نفسية سعيدة . . هذا له كلام . . وهذا له كلام آخر . . مخاطبة الإنسان

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

الغاضب لها طريقة .. ومخاطبة الإنسان الذي هو في حالة نفسية سعيدة لها طريقة أخرى .. ولكن اعجاز القرآن يأتي في أنه يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعا .. الغنى منهم والفقير .. التعيس منهم والسعيد .. الخادم منهم والسيد .. إنه يخاطبهم جميعا .. ويخاطبهم في حالاتهم النفسية كلها .. فالإنسان الغاضب إذا سمع القرآن هدأ نفسه .. والإنسان السعيد إذا سمع القرآن اهتز في داخل نفسه .. وزادت سعادته .. والأمير .. والخدم .. والمثقف .. وغير المتعلم .. وهؤلاء جميعا الذين لا يمكن أن يجتمعوا على أي مستوى .. ولا أن تتوحد عقلياتهم .. بحيث يكلمهم متحدث واحد .. وفي نفس الموضوع فيفهمونه .. تراهم في الصلاة .. وقد اجتمعوا في المسجد .. وجلسوا معا .. ويتلى القرآن فيهز قلوبهم جميعا .. رغم اختلاف الثقافة والبيئة والحالة النفسية .. والحالة الاجتماعية وكل شيء اختلفا بينا .. ومن هنا كان الاعجاز الأول في بلاغة القرآن .. انه يحيط بعلم حالات أفراد متعددين .. من أجناس مختلفة .. وشعوب مختلفة .. وثقافات مختلفة .. ولغات مختلفة .. وبيئة مختلفة .. لم يخاطبهم بما يهز وجدانهم ومشاعرهم .. ويؤثر في عواطفهم .. فإذا سألت أحدهم ما الذي أعجبك في القرآن .. فإنه غالبا لا يستطيع أن يعطيك جوابا شافيا .. وإنما سيعطيك كل واحد منهم جوابا مختلفا .. وذلك يدل على أن الاعجاز واصل إلى قلبه .. متغلغل في نفسه .. بما لا يستطيع هو أن يصفه الوصف الكامل .. أي أن القرآن يخاطب في النفس البشرية أحاسيس وملكات لا يعلمها إلا خالقه .. وهذه الملكات لو عرفناها لعرفنا لماذا تتأثر بأسلوب القرآن .. ولكننا نظل نبحث ونحوم حول الآيات التي أعطت القرآن هذه البلاغة .. ثم بعد ذلك لا نجد جوابا شافيا .. إذ إن الله سبحانه وتعالى يخاطب في النفس البشرية ملكات هو خالقها .. وإن هذه الملكات تتأثر بكلام الله سبحانه وتعالى .. وتهتز له دون فارق من فوارق الدنيا .. أو من الفوارق التي وضعتها الحياة الدنيا بين الناس .. ولذلك كان أخشى ما يخشاه الكفار أن يستمع الناس إلى القرآن .. ولو كانوا غير مؤمنين .. فقد كان القرآن بمخاطبته للملكات كل نفس يهزها هزا عنيفا .. و يجعلها تتأثر به .. حتى أن الوليد بن المغيرة حين استمع إلى القرآن قال : إن له حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلىه لثمرة ، وإن أسفله لمدق . وإنه يعلو ولا يعلى

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

عليه .

وهكذا تأثر به دون إيمان .. وعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين دخل بيت صهوة بعد أن علم باسلام أخته وزوجها كان ناوي الشر .. وما إن استمع إلى آيات من القرآن حتى هدأت نفسه وانشرح صدره للإسلام .. لماذا ؟ لأن كلام الله سبحانه وتعالى قد خاطب ملكرة في نفسه .. وهو في غاية الضيق والحمق .. وينوى الشر .. ومخاطب هذه النفس ، نفس عمر بن الخطاب ، وهى في هذه الحالة من الغضب الشديد بنفس الكلام الذى يخاطب به المؤمنين ، وهم في حالة انسجام وسعادة شديدة لقربهم إلى الله سبحانه وتعالى .. وإذا بالأيات ، نفس الآيات التي تدخل السعادة على نفس قريبة من الله .. قد أدخلت المدوء والانسجام على نفس لم تكن قد آمنت .. وأصابت في نفس الوقت نفوسا سعيدة وهي نفوس المؤمنين .. فجعلتها تزداد سعادة .. وتنشرح للإسلام .. ونفسا غاضبة تنوى الشر لم تصل إلى الإيمان بعد .. فهدأتها وجعلتها سعيدة .. وانشرح الصدر للإيمان .. مع أن الكلام واحد .. وفرق كبير بين حالة المخاطب في الحالتين .. ومع ذلك ولأن القائل هو الله سبحانه وتعالى .. وهو العالم بالنفس البشرية التي خلقها .. فقد كان كلامه مناسبا لكل حالات المخاطب منها اختفت هذه الحالات .. مع أنه نفس الكلام .. إذن فهناك في النفس ملكات خفية عن الإنسان .. لا يعرف سرها إلا الله سبحانه وتعالى .. ويقوم الله بمخاطبة البشر على اختلاف أحوالهم .. فتهتز هذه الملكات .. وتتأثر وينسجم الإنسان معها دون أن يعرف السر ..

قالوا ساحر .. وقالوا مفتر

إذا وصلنا إلى ذلك .. نكون قد تحدثنا عن أول شروط البلاغة .. وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال .. ونجد أن القرآن في هذه الناحية قد تخطى كل شروط البلاغة في أنه مطابق لكل أحوال البشر .. على اختلاف ظروفهم .. ولذلك تهتز الكفار في هذا الاعجاز في مخاطبة البشر جميرا .. وفي هذا الاعجاز الذي تهتز له قلوب كل من يسمعه ويفهمه .. فقالوا ساحر .. سحر الناس بكلامه .. لأنه لا يمكن لبشر عادى أيا كان أن يأتي بكلام يطابق كل الأحوال .. ولو أخذنا أبلغ بلغاء العصر .. وقلت له انظم قصيدة .. أو أعد

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

كلاما لتلقيه أمام الناس .. فهو لا يستطيع أن يعد كلاما يقوله أمام مجموعة من المبحرين في العلم .. وفي نفس الوقت يقوله أمام مجموعة من غير المتعلمين .. ويكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال .. ولا أن يعد قصيدة يمدح بها أميرا .. ثم يقول نفس القصيدة في خادم الأمير .. ويكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال .. ولكنهم وجدوا أن القرآن يخاطب المتعلم وغير المتعلم .. والعبد والسيد .. والرجل العادي والحاكم .. ومن هنا كانت المطابقة معجزة .. فقالوا ساحر .. فليأتوا بسحر مثله .. ثم هل للمسحور خيار أو اراده مع الساحر .. اذا كان محمد عليه السلام قد سحر من آمن به .. فلماذا لم يسحركم أنتم .. ان بقاءكم على الكفر ومحاربة الدين ، دليل على أنه ليس ساحرا .. وإلا لو كان ساحرا لكان قد سحركم جميعا .. ولم يسلب بعض الناس ارادتهم .. ويترك البعض الآخر على ارادته ..

ثم انتقلوا إلى نقطة أخرى .. قالوا مفتر .. نقول لهم مادمت قد فهمتم أنه مفتر .. فافتروا أنتم إن كنت تستطيعون .. بل إنكم أنتم أيها الكفار أقدر منه على الافتراء .. فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس له دراية بفن الكلام .. والخطب والشعر والأدب .. بل إنه لا يقرأ ولا يكتب .. ولا يقول الشعر .. أما أنتم فأساتذة الكلام والبلاغة ، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة .. ولم يقل شعرا أو أدبا .. قد قال هذا الكلام .. وأنتم تقولون انه مفتر .. فوسائل الافتراء تملكون أسبابها أكثر من محمد عليه الصلاة والسلام .. عندكم الشعرا والأدباء .. فافتروا مثله .. وأداة الافتراء موجودة تستطيعون أن تستغلوها ..

ولقد أراد القرآن أن يرد على هذا الاعجاز .. فقال الله سبحانه وتعالى :

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾
﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا
مَآتَدَ كُرُونَ ﴾

(سورة الحاقة)

حتى الرد فيه اعجز .. فالشعر مفهوم .. انه من كلام موزون مقفى يعرفه

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

الناس جميعا .. ومن هنا فكونكم تقولون ان هذا شعر .. فهذا دليل على أنكم تكفرون .. لماذا؟ .. لأنكم تعرفون الشعر معرفة جيدة .. وهذا ليس شعرا بأوزانه وقوافيه .. ولذلك عندما تقولون أيها الكفار انه قول شاعر .. وما تقولونه ليس عن جهل .. ولكن عن كفر بالله سبحانه وتعالى لأنكم تعرفون الشعر جيدا .. ثم قال الله سبحانه وتعالى .. وإنما تقولون إنه قول كاهن .. فهنا استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة تذكرون .. أى انكم في قولكم انه قول كاهن .. وقول الكاهن كلام فيه سجع .. ويمكن أن يختلط .. ولكن قول الكاهن لا يمكن أن يخاطب كل الملائكة .. ولا يمكن أن يكون فيه كل هذا الاعجاز .. كما أن الكاهن يفضحه طول الوقت .. والزمن .. ومن هنا فإنه كبشر ينسى ويأق بعكس ما قاله نتيجة لمرور الوقت والزمن .. ولذلك عندما رد الله سبحانه وتعالى على قوله انه كاهن .. كان الرد بكلمة تذكرون .. لأنه من الواضح أن هذا ليس شعرا .. ومن هنا فإنه يمكن أن يختلط بكلام الكهان .. والفرق بين النثر والشعر في هذه الحالة هو أولاً الاعجاز في مخاطبة ملائكة النفس البشرية .. وثانياً طول الزمن الذي يجعل الكاهن ينسى ما قال .. ومن هنا قال الله سبحانه وتعالى « قليلاً ما تذكرون » أن البشر معرض أن ننسى ما يقوله .. فاستخدم كلمة تذكرون .. ولم يستخدم كلمة تؤمنون .. أو الكفر .. التي استخدمها في الحالة الأولى عندما قالوا قول شاعر .. لأن الشعر له قواعد معروفة ..

نأق بعد ذلك إلى اعجاز آخر في القرآن .. انه إذا قرأت أى كلام متشرور .. ثم جاء الكاتب فاستشهد ببيت من الشعر .. تشعر ساعة ينتقل الكاتب أو المتكلم من النثر إلى الشعر .. إنك انتقلت من طبيعة كلام إلى كلام آخر .. ثم ترك بيت الشعر وتعود إلى النثر فتعرف أيضاً إنك انتقلت من كلام إلى كلام آخر .. نأق إلى رسالة بن زيدون التي يقول فيها: « ومع اليوم غد .. وكل أجل كتاب له الحمد على اهتمالي .. ولا عتب عليه في اغفاله » .. فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا

فأفعاله اللاحقة سررن ألف

وهنا نلتفت فنجد اننا انتقلنا من النثر إلى الشعر في كلام في غاية الانسجام .. ولكن نعرف الفرق ..

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

نأى إلى القرآن الكريم .. كلام الله .. اقرأ القرآن ..

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعَيْوَنٍ ﴿١﴾ أَذْخُلُوهَا سَلَامٌ إِمْبَارِيَنَ ﴿٢﴾
 وَزَعَنَّا مَافِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِّ إِخْرَانِ عَلَى سُرُرِ مُتَقْبِلِيَنَ ﴿٣﴾
 لَا يَكْسِبُهُمْ فِيهَا نَصْبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِيَنَ ﴿٤﴾ نَحْنُ عِبَادِيَ
 أَنَّا أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَأَنَّ عَذَابِيُّ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٦﴾
 وَنَتَّهِمُ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَامًا قَالَ
 إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٨﴾

(سورة الحجر)

أنت قرأت هذا النص القرآني ولم تشعر أنك قد انتقلت من النثر إلى الشعر إلى النثر مرة أخرى دون أن تدرى .. أى أنك انتقلت من شيء منتشر إلى شيء منظوم .. ثم من شيء منظوم إلى شيء منتشر .. وأتحدى أن يأق بها إنسان عندما تنظر إلى الكلام الذي قيل «نبيء عبادي أنى الغفور الرحيم .. وأن عذابي هو العذاب الأليم» ما جنى بارات مستفعل فاعلات .. بيت من الشعر .. ومع ذلك ما أحست أذنى اننى انتقلت من النثر إلى الشعر .. وانى انتقلت بعده من كلام منظوم إلى كلام منتشر .. ومثل ذلك تجده في كثير من آيات القرآن الكريم .. امرأة العزيز عندما جمعت النسوة :

﴿وَقَالَتِ أَنْجُرَ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَعْبَرْنَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُلْنَ حَشَّ اللَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٩﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

الَّذِي لَمْ تَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَأَوْدَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ وَلَئِنْ لَمْ
يَفْعَلْ مَا أَمْرَهُ لَيُسْجِنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٢٧)

(سورة يوسف)

قول الله سبحانه وتعالى «فذلكن الذي لمتنى فيه» مستفعل فاعل ..
مستفعل فاعل .. هل شعرت أنك انتقلت من كلام متشور .. وكذلك قول الله
 سبحانه وتعالى « فمن شاء فليؤمن .. ومن شاء فليكفر » .. مفاعيل ..
 مفاعيل .. مفاعيل .. « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » ..
 في كل من هذه الآيات لم تشعر أنك انتقلت من شعر إلى نثر .. لأنه توجد
 هناك فجوة كلامية .. والقرآن نظم فريد .. لا تستطيع أن تقول إنه نثر
 ولا شعر ولا سجع .. وإنما هو كلام فريد يتناسب مع قول القائل سبحانه
 وتعالى .. إذن فبلغة القرآن في مطابقته للحال .. حال جميع المخاطبين ..
 وببلاغته في الانتقال من الشعر إلى النثر .. ومن النثر إلى الشعر دون أن تحس ..
 وببلاغته في تحريك النفس البشرية .. كل نفس بشرية .. وببلاغته في أن الله
 تحدى أساطير البلاغة .. بل تحدى الأنس والجن في أن يأتوا بسورة من مثله ..
 فعجزوا وأمام هذا العجز لم يستطعيبوا أن يصوبوا المواجهة التي يريدون أن يقوموا
 بها ضد الدين الجديد .. لم يستطعيبوا أن يصوبوا هذه المواجهة إلى ذات المعجزة
 وهي القرآن الكريم .. لأن التحدى كان أقوى منهم جميا .. فإذا بهم يصوبون
 ذلك إلى من جاءت على يديه المعجزة وهو محمد صلى الله عليه وسلم .. قالوا :
 « لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القرىتين عظيم »

- وهنا مربط الفرس .. الحقد والغيرة لم يستطعوا أن يواجهها القرآن .. فقالوا
 لماذا اختار الله محمدا لينزل عليه القرآن .. وإنما آفة القرآن أنه نزل على محمد
 عليه السلام .. وليس آفته أنه صراع بين حق ينادي به القرآن .. وباطل هم
 مقيمون عليه ..

والذي يقيم على الباطل يريد للباطل أن يستمر .. لأن الباطل هو الذي
 يعطيه الاتوة والقدرة والسيادة .. وهو يريد لهذا الباطل أن يبقى لتبقى له

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

السيادة .. فيأق الحق .. ويغلبه .. ويفس أن ملكه سيزول فيقول : « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء » إذن فهو يريد العزة مع الباطل .. أما إذا كان زوال الملك سيأتي مع الحق فهو لا يريد .. ويطلب الله .. أو يطلب من الله أن يطر عليه حجارة من السماء .. إذن فهو يكره الحق لذاته .. لأنه سيسليه سلطانه وقوته .. ويريد للباطل أن يستمر .. ليبقى سيدا .. ولو بغير الحق .. ثم يقول الكثار بعد ذلك : « ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا » .. إذن المانع من الإيمان ليس أنه غير الحق .. لكن المانع له أنه سيزيل عنكم السيادة التي أعطاها لكم الباطل .. وسيتجرأ عليكم الناس وتتخطفون من أرضكم .. وكان هذا هو العناد .. بعد أن فشلوا في تحدي معجزة القرآن اللغوية .. والرد عليها ..

معنى الحروف في القرآن

ولكنهم في تحديهم ووقفهم موقف المعارضة .. أثبتوا أنهم داخل نفوسهم يعتقدون أن القرآن هو الحق .. لأنهم لم يستطيعوا أن يتحدوا اعجازه .. الاعجاز أولاً في النبي المختار للدعوة .. والاعجاز ثانياً في استخدام نفس الحروف والألفاظ التي يستخدمها البشر .. ولتحدث عن هاتين النقطتين بشيء من التفصيل .. الاعجاز الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ .. ولم يكتب طوال حياته .. ولم يتعلم القراءة والكتابة .. ولم يدرس الأدب ولا الشعر .. ولا النثر .. ولا علم الكلام .. إلى غير ذلك .. ومع هذا فقد جاءوا بكلام غاية في الاعجاز .. كلام لا يستطيع أولئك الذين درسوا البلاغة .. ويرعوا فيها أن يأتوا به .. أو يأتوا بسورة من مثله .. بل الاعجاز يتجل أكثري في أن الله سبحانه وتعالى أثبت في القرآن أن هذا الكلام ليس كلام محمد عليه الصلاة والسلام .. بل هو كلام لا يمكن أن يأق به أمني .. فالإنسان الأمي قد ينطق الكلمات .. وقد ينظم الشعر والنثر والسبع .. ولكنه لا يستطيع أبداً أن يأق بالحروف التي تتكون منها الكلمات .. فإذا أنت ذهبت إلى إنسان لم يعرف في حياته القراءة والكتابة .. وسألته ما هذا .. يقول لك هذا كوب مثلا .. فإذا قلت له ما هي الحروف التي تتكون منها كلمة كوب لم يعرف لأنه لم يتعلم القراءة والكتابة .. وإذا بالله سبحانه وتعالى يأق بالحروف التي

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

لا يعرف مسمياته رجل أمي .. ويجعل النبي ينطق بها ويجعلها في القرآن فيقول : «ألف .. لام .. ميم .. كاف .. ها - يا - عين - صاد» امعاناً في الاعجاز والتحدي .. محمد نبي أمي لا يمكن أن يعرف أسماء هذه الحروف أبداً .. ولكنه جاء بأسماء هذه الحروف .. لاثبات بأن هذا ليس كلام محمد عليه الصلاة والسلام .. لأنه لو كان كلام محمد وهو رجل لم يقرأ ولم يكتب في حياته .. لكن من المستحيل أن يعرف أسماء الحروف التي لا يعرفها ولا يستطيع أن ينطق بها إلا من تعلم القراءة والكتابة ..

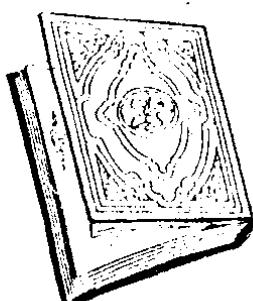
مهارة الصانع

نأتي بعد ذلك إلى النقطة الثانية وهي استخدام نفس الحروف والألفاظ التي يستخدمها البشر في أسلوب ومعان يعجز عنها البشر .. وهذا اعجاز وتحدى .. لأنك تريد أن تدلل على مهارة الصانع في أي شيء .. فأنت لا تأتي بمادة مختلفة .. ثم تقارن بين صانع وآخر .. أنت إذا أردت مثلاً أن تعرف من هو أشهر الناس في صناعة النسيج .. لا تأتي بخامة من حرير .. وخامة من قطن .. وخامة من خيش .. ثم تعطيها لثلاثة صناع .. وتقارن بين انتاجهم .. لأنك في هذه الحالة لا تستطيع أبداً أن تقول أن هذه أحسن من هذه .. لأن نسيج الحرير لابد أن يكون أحسن .. نظراً لأن الخامات التي صنع منها الثوب هي أفضل الخامات ..

ولكن المهارة تكون في استخدام مادة واحدة .. نعطي الكل قطناً أو حريراً أو صوفاً .. ولذلك تكون العناصر المكونة للشيء واحدة .. أو متباينة .. فلا يكون لها دخل في الجودة .. وتكون الجودة أو المهارة للصانع نفسه .. فآراء الله سبحانه وتعالى أن يثبت أولاً أن القرآن لم يتميز ببلاغة إلا لأن قائله هو الله سبحانه وتعالى .. مادته ليست من جنس أعلى من مادة البشر .. بل هي من جنس كلام البشر .. الحروف هي الحروف .. والكلمات هي التي تنطقون بها هي نفس الكلمات المستخدمة .. وجاء بكلمات الحروف كأسماء يستطيع أن ينطق بها الباحث والمتعلم .. وسميات يستطيع أن ينطق بها المتعلم وحده .. ثم بعد ذلك قدم المعجزة وتحدى .. الحروف نفس الحروف .. والكلمات نفس الكلمات .. ولكن الذي أفهمهم هو الله سبحانه وتعالى .. فلم يستطيعوا أن

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

يأتوا بهمثله . . وهذا دليل على أن الصانع هو المختلف . . ومن هنا كان التحدى عظيمها . . لأن الفارق هو بين قدرة الله سبحانه وتعالى . . وبين قدرة البشر . . وعندنا في البلاغة عندما نقول أن هذا الشيء بلغ . . ونقول أن العرب قد اشتهروا بالبلاغة والفصاحة . . يعني أن البلاغة هي وضع الكلام مناسباً للمقام الذي يقال فيه . . ومستوفياً لأركان سلامته . . وأركان الكلام هي ألا يكون بين الحروف تناقض . . مثل أن تكون الكلمة هيع .. هيع . وإنما تكون الكلمات منسجمة . . ولا تأتي مخالفة لقانون اللغة . . ولا تكون غريبة على الأذن . . عندما تستوفي الكلمة هذه الشروط . . توضع في جملة يتشرط أن تكون منسجمة مع الكلمة الأخرى . . خاضعة لقواعد اللغة . . وليس فيها تعقيد . . إذن عندما جاءوا ليعرفوا البلاغة قالوا هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتها . . تراكيب منسجمة ومخاطبة للبشر . . مطابقة لمقتضى عقلهم . . ومن هنا فكانت بلاغة البشر على قدر علمهم بمقتضى حال المخاطب . . ومعنى ذلك أنه لا بد أن يكون هناك علم . . وعلمنا كبشر بأحوال المخاطبين محدود . . ولكن علم الله سبحانه وتعالى بلا حدود . . ومن هنا فإن بلاغة القرآن الكريم في أنه معجز في مخاطبته للبشر جميعاً . . معجز في بلاغته . . ومطابقته بمقتضى مخاطبته للبشر جميعاً يخاطب ملائكة في النفس لا ندرى . . لا نعرف سرها . . مكون من نفس الحروف والكلمات التي يستخدمها العامي . . والمتعلم . . تحدى به الله البشر أن يأتوا بسورة مثله . . ثم تحدى الانس والجحان . . وهم الذين لهم اختيار . . ووضع الله فيه أسماء الحروف كاعججاز لأن الموحى إليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم أمنى لم يقرأ . . ولا يكتب . . على أن الاعججاز في القرآن لا ينتهي عند هذا الحد . . وإنما يمتد إلى دقة اللفظ والتعبير التي يعجز عنها البشر . . وهو موضوع الفصل القادم .



الفصل الرابع

البلاغة في القرن الكريبي

البلاغة في القرآن الكريم



إذا أردنا أن نتحدث عن معجزة القرآن .. وبلاغته .. فإننا لابد أن نتناول دقة اللفظ .. أو دقة التعبير في القرآن الكريم .. وكلام الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون في غاية الدقة .. بحيث يعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً .. فلا تجد حرفاً زائداً بلا معنى .. ولا كلمة متراوفة إلى آخر ما يقال عن القرآن الكريم .. والحقيقة أن المعجزة في القرآن تجدها في حرف .. فيقول الله سبحانه وتعالى : «*قل سيروا في الأرض*»

وتقف أنت عند هذه الآية الكريمة وتسأل .. لماذا لم يقل الله : *قل سيروا على الأرض* .. هل أنا أسير في الأرض .. أو على الأرض .. حسب مفهوم الناس جمِيعاً .. فأنا أسير على الأرض .. ولكننا نجد أن الله قد استخدم كلمة في .. ولم يستخدم كلمة على .. يقول : *سirوا في الأرض* . (ففي) تقتضي الظرفية .. والمعنى يتسع لأن الأرض ظرف المشي .. ومن هنا فإن التعبير جائز .. ولكن ليس في القرآن كلمة جائز .. فالتعبير بقدر المعنى تماماً .. والحرف الواحد يغير المعنى وله هدف .. وقد تم تغييره لحكمة لكن ما هي حكمة استخدام حرف (ف) بدلاً من حرف (ع) ..؟

عندما تقدم العلم وتفتح وكشف الله أسرار الأرض وأسرار الكون .. عرفنا أن الأرض ليس مدلولاً لها المادي فقط .. أي أنها ليست الماء والأرض .. أو الكرة الأرضية وحدها .. ولكن الأرض هي بخلافها الجوى .. فالغلاف الجوى جزء من الأرض يدور معها ويلازمها .. ومكملاً للحياة عليها .. وسكان الأرض يستخدمون الخواص التي وضعها الله في الغلاف الجوى في اكتشافاتهم العلمية .. والدليل على ذلك أنك إذا ركبت الطائرة فإنها ترتفع بك ٣٠ ألف قدم مثلاً عن سطح الأرض .. ومع ذلك فإنك لا تقول إنك خرجت من الأرض .. ولكنك تقول أنت تطير في الأرض .. متى تخرج من الأرض علمياً وحقيقة .. عندما تخرج من الغلاف الجوى للكرة الأرضية مادمت أنت في الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية .. فأنت في الأرض .. ولست خارج الأرض .. فإذا خرجت من الغلاف الجوى .. فأنت في هذه اللحظة التي تخرج فيها خارج الأرض .. الغلاف الجوى متتم للأرض .. وجزء منها .. ويدور معها .

البلاغة في القرآن الكريم

نعود إلى الآية الكريمة ونقول : لماذا استخدم الله سبحانه وتعالى لفظ في .. ولم يستخدم لفظ على .. لأنك في الحقيقة تسير في الأرض .. وليس على الأرض .. هذه حقيقة علمية لم يكن يدركها العالم وقت نزول القرآن .. ولكن الله سبحانه وتعالى وهو القائل .. وهو الخالق يعرف أسرار كونه .. يعلم أن الإنسان يسير في الأرض .. أنه يسير على سطح الأرض .. ولكنه لا يسير على الأرض .. بل يسير فيها بين الغلاف الجوي والسطح .. ومن هنا فهو يسير في الأرض .. أى في وسطها بين غلافها الجوي الذي هو جزء منها .. وبين اليابسة التي هي جزء آخر .. وهكذا نجد دقة التعبير في القرآن في حرف .. ونجد معجزة القرآن في حرف ..

اختلاف الصبر

انتقل بعد ذلك إلى مثل آخر لنعرف مدى بلاغة القرآن في اختيار اللفظ الذي يناسب المعنى تماما .. وليس فيه تجاوز ولا مترادفات .. يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ ﴾

(سورةلقمان)

.. ثم نجد في آية ثانية ..

﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ ﴾

(سورة الشورى)

.. زادت هنا اللام .. أى إنسان يقول إن زيادة اللام هنا للتأكيد .. كلمة مترادفة .. لا يتوقف عندها كثيرا .. ولكن المسلم حين يدقق في معانى القرآن الكريم .. يجد أن كل حرف في القرآن الكريم .. قد تم وضعه بحكمه باللغة .. وأنه لا شيء اسمه مترادفات .. وإنما لكل لفظ معنى يؤديه ، ولا يؤديه لفظ الآخر .. رغم التشابه .. فإذا دققنا في المعنى نجد ما يلى : في الآية الأولى يقول الله سبحانه وتعالى « واصبر على ما أصابك » . والأمر هنا نوع

البلاغة في القرآن الكريم



للإنسان فيه غريم .. نوع لا يوجد فيه غريم .. عندما أمرض ليس لي غريم .. وإذا أصابني مكره بقضاء وقدر .. كان أكون سائراً في الطريق فيسقط شيء فوقى ليس هناك غريم .. إنما عندما أسيء في الشارع ويعتدى على إنسان بالضرب .. إذن هناك غريم .

فهناك نوعان من الصبر .. صبر النفس وما ليس له في غريم .. وهذا هي لأنه ليس هناك إنسان انفعلاً عليه .. ولا أملك أن أرد على شيء قد حدث لي .. ما حدث هو قضاء الله .. وأنا ليس أمامي إلا الصبر .. هذا نوع من الصبر لا يحتاج إلى طاقة كبيرة ليمارسه الإنسان .. لأنه ليس هناك غريم استطيع أن أرد له ما أصابني ..

والنوع الثاني من الصبر .. يحتاج إلى جلد .. وتحتاج إلى قوة إرادة .. وهذا النوع هو الذي يوجد له في غريم أستطيع أن أنتقم منه .. وأستطيع أن أصفح وأغفر .. إذن عندما يتحدث الله سبحانه وتعالى عن الصبر بنوعيه .. يعطي لكل نوع ما يستحقه من وصف للنفس البشرية .. فهو عندما يتحدث عن الصبر على شيء ليس له .. فيه غريم .. يقول :

«واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور»

وعندما يتحدث عن الصبر الذي له في غريم بحيث أستطيع أن أنتقم .. وأكون منفعلاً إذا لم أنتقم .. يقول سبحانه وتعالى :

«إن ذلك لمن عزم الأمور»

هذا اللام للتاكيد في نوع الصبر .. وما يحتاجه من جلد وضبط للنفس .. ففي الحالة الأولى حينما لا تستطيع أن تتعاقب به مثل ما عوقبت به .. يكون الصبر من عزم الأمور .. ولكن في الحالة الثانية فإنك تستطيع أن تنتقم من غريمك .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى :

«ولمن صبر وغفر»

وهنا يظهر من كلمة غفر .. أن هناك غريماً يمكن الانتقام منه .. وأن هذا الغريم قد غفر الإنسان له .. ومن هنا لا بد أن تأتي اللام للتاكيد .. لتأكيد المعنى .. وتؤكد الفرق بين عزم الأمور في الحالة الأولى .. وعزم الأمور في الحالة الثانية .. وهكذا نرى أن حرف واحداً في القرآن الكريم يصنع معجزة ..

البلاغة في القرآن الكريم

مخاطبة النفس البشرية

على أن المعجزة لا تأق في حرف فقط .. بل تأق أيضا في مخاطبة القرآن للملكات البشرية المستورـة .. الشـيء الذي ينـبـئ عن علم تام بخفـايا النـفس البـشرـية .. وملـكـاتـها التـي نـعـرـفـها .. وـالـتـي نـجـهـلـها .. فـمـثـلاـ عـنـدـما أـرـادـ الله سـبـحـانـه وـتـعـالـى أـنـ يـمـنـعـ المـشـرـكـينـ بـأـنـ يـطـوـفـواـ بـالـبـيـتـ الـحـرـامـ .. سـاعـةـ ماـ يـلـقـىـ هـذـا الـأـمـرـ ،ـ ماـ الـذـي يـهـزـفـ فيـ نـفـسـ الـمـسـلـمـ الـذـي يـسـتـمـعـ ..ـ أـىـ الـمـلـكـاتـ تـهـزـ ..ـ مـلـكـةـ الـاقـتصـادـ فـيـ النـفـسـ ..ـ عـلـىـ أـسـاسـ أـنـ هـؤـلـاءـ الـمـشـرـكـينـ يـأـتـونـ مـنـ كـلـ الدـوـلـ ..ـ المـدـنـ ..ـ الـقـرـىـ ..ـ وـالـبـلـادـ الـمـحـيـطـ بـكـةـ ..ـ وـهـذـهـ لـمـ يـصـلـهـ الـإـسـلـامـ بـعـدـ ..ـ وـمـعـنـىـ مـنـعـهـمـ مـنـ الـخـضـورـ ..ـ مـنـعـ الـخـيرـ الـذـي يـأـقـعـهـمـ ..ـ فـهـمـ يـأـتـونـ بـالـبـضـائـعـ ..ـ وـيـنـفـقـونـ ..ـ وـيـحـدـثـونـ رـوـاجـاـ اـقـتصـادـيـاـ ..ـ هـنـاـ تـهـزـ مـلـكـةـ الـاقـتصـادـ فـيـ النـفـسـ ..ـ وـالـلـهـ سـبـحـانـه وـتـعـالـى وـهـوـ خـالـقـ لـلـنـفـسـ الـبـشـرـيةـ ..ـ يـعـلـمـ هـذـاـ ..ـ فـعـنـدـماـ تـنـزـلـ هـذـهـ الـأـيـةـ ..ـ لـاـ تـقـتـصـرـ عـلـىـ مـخـاطـبـةـ نـاحـيـةـ اـفـعـلـ وـلـاـ تـفـعـلـ ..ـ كـأـوـامـرـ وـنـوـاهـ ..ـ وـطـرـيقـ وـمـنـهـجـ لـلـحـيـاةـ ..ـ وـلـكـنـ تـتـجـلـيـ فـيـهـ رـحـمـةـ اللـهـ فـتـخـاطـبـ الـأـيـةـ الـمـلـكـةـ الـنـفـسـيـةـ الـتـيـ تـتـأـثـرـ بـالـاقـتصـادـ ..ـ فـعـنـدـماـ يـقـولـ اللـهـ سـبـحـانـه وـتـعـالـىـ :ـ «ـ إـنـاـ الـمـشـرـكـونـ نـجـسـ فـلـاـ يـقـرـبـواـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ بـعـدـ عـامـهـمـ هـذـاـ»ـ يـخـاطـبـ فـيـ نـفـسـ الـأـيـةـ الـمـلـكـةـ الـاـقـتصـادـيـةـ ..ـ وـيـخـاطـبـ الـمـلـكـةـ الـاـقـتصـادـيـةـ قـبـلـ أـنـ يـشـارـ السـؤـالـ فـيـ أـنـ ذـلـكـ سـيـؤـدـيـ إـلـىـ ضـيـقـ الرـزـقـ ..ـ فـيـقـولـ اللـهـ سـبـحـانـه وـتـعـالـىـ :ـ «ـ وـإـنـ خـفـتـ عـيـلةـ فـسـوـفـ يـغـنـيـكـمـ اللـهـ مـنـ فـضـلـهـ»ـ نـفـسـ الـأـيـةـ ..ـ وـمـعـنـىـ هـنـاـ أـنـ هـذـارـ أـنـ تـفـتـنـكـمـ الـمـلـكـةـ الـاـقـتصـادـيـةـ وـالـخـوفـ مـنـ ضـيـقـ الرـزـقـ عـمـاـ أـقـولـ لـكـمـ فـيـ اـفـعـلـ وـلـاـ تـفـعـلـ ..ـ وـلـاـ تـخـافـوـاـ مـنـ الـفـقـرـ ..ـ فـإـنـ اللـهـ سـبـحـانـه وـتـعـالـىـ هـوـ الـغـنـىـ الـحـمـيدـ ..ـ وـسـيـغـنـيـكـمـ مـنـ فـضـلـهـ ..ـ إـنـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ ..ـ مـعـنـىـ الـمـلـكـةـ الـاـقـتصـادـيـةـ ..ـ وـتـأـثـيرـهـاـ دـاـخـلـ النـفـسـ يـتـكـرـرـ الـآنـ فـيـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ تـحـدـثـ فـيـ الدـنـيـاـ ..ـ وـالـلـهـ سـبـحـانـه وـتـعـالـىـ حـيـنـ يـقـولـ لـكـ اـفـعـلـ كـذـاـ ..ـ أـوـ يـقـولـ لـكـ لـاـ تـعـاـمـلـ مـعـ كـذـاـ ..ـ يـأـقـعـ بـعـدـ ذـلـكـ مـبـاشـرـةـ السـؤـالـ إـلـىـ ذـهـنـكـ ..ـ وـالـرـزـقـ الـذـيـ أـحـصـلـ عـلـيـهـ مـنـ هـذـاـ التـعـاـمـلـ ..ـ مـنـ أـينـ آـتـيـ بـهـ ..ـ وـهـنـاـ يـقـولـ اللـهـ سـبـحـانـه وـتـعـالـىـ أـنـيـ أـرـزـقـكـ مـنـ طـرـيقـ ..ـ وـمـادـاـ الـرـزـقـ بـيـدـيـ أـنـاـ فـإـنـيـ سـأـيـسـرـ لـكـ سـبـيلـاـ آـخـرـ لـلـرـزـقـ ..ـ وـلـاـ تـخـشـ الـفـقـرـ ..ـ وـلـاـ تـخـفـ مـنـ أـنـ رـزـقـكـ سـيـنـالـهـ غـيرـكـ .ـ

البلاغة في القرآن الكريم

« هو .. يطعمني ويسقين »

والله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يخاطب دائماً ملائكة النفس البشرية .. ويريد عليها ببلاغة وبدقة متناهيتين .. بحيث تجد أنه عندما تتغير كلمة واحدة من الكلمات .. فإن ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعطي معنى جديداً .. أو يفهم شيئاً جديداً .. وهذه الدقة الهائلة .. تجدها موجودة بكثرة في القرآن الكريم .. مثلاً إبراهيم عليه السلام يقول :

« فإنهم عدو لى إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين »

.. هنا نتوقف لسؤال : لماذا لم يقل إبراهيم عليه السلام هو الذي خلقني فهو يهدين .. وقال : الذي خلقني فهو يهدين .. لأن الخلق ليس يحتاجا إلى تأكيد .. فليس هناك إنسان منها كبر وعظم وحكم الدنيا كلها .. يستطيع أن يدعى إنه يخلق إنساناً .. وإنما فسنطلب منه أن يفعل ذلك وسيعجز .. إذن فالخلق لم يدعه أحد .. لذلك فإنه غير محتاج إلى تأكيد .. إنما الهدایة هناك مئات الألوف من يدعون إنهم يهدون الناس .. بعضهم وضع مناهج مع الدين .. وبعضهم وضع مناهج ضد الدين .. والمهم إنهم جميعاً يدعون إنهم يريدون هدایة البشر .. وكل إنسان يضع نظاماً يخضع لأمره وهوه .. ويدعى أنه للهدایة .. ومن هنا كان لابد من التأكيد على أن الهدی من الله وحده .. إن الحق والطريق المستقيم من الله وحده .. وهكذا نرى أن الضمير هنا كان لابد من وضعه .. وإن الضمير في الجزء الأول من الآية لم يكن هناك حاجة للتذكرة به .. فالخلق صفة من صفات الله .. لا ينافيه فيها أحد .. فهو ليس محتاجاً إلى تأكيد وإنما الهدی فيه ادعاءات من الناس .. وهنا تأتي كلمة (هو) ضرورة .. ثم تأتي بعد ذلك في :

« والذي هو يطعمني ويسقين »

لأن الإنسان يكسب ثمن الطعام والشراب فهناك ادعاءات كثيرة في الرزق .. ومن هنا فإن هذه الادعاءات محتاجة إلى أن يقول الله سبحانه وتعالى كلمة :

« هو يطعمني ويسقين »

ويقول أيضاً :

« وإذا مرضت فهو يشفين »

البلاغة في القرآن الكريم

.. ذلك إننا بين الطبيب والدواء ننسى إرادة الله سبحانه وتعالى .. ثم بعد ذلك نأتي إلى عدم وجود كلمة هو في قوله تعالى :
«والذى يحيى ثم يحيى»

ولم يقل : والذى (هو) يحيى ثم (هو) يحيى .
لأنه لا أحد يستطيع أن ينازع الله في مسألة الموت والحياة .. ولا يدعها لنفسه .. ومن هنا كان التأكيد غير لازم لقتضي الحال .
وهكذا نرى في هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يأتى بالضمير فيضنه مرة .. ويحذفه مرة .. لأن المقام يتضمن ذلك .. ولأن دقة التعبير في القرآن الكريم تجعل الكلمة الواحدة توضع في المكان المناسب لتعبير عن المعنى الدقيق البالغ الدقة .. سواء من ناحية الإضافة أو الحذف .. أو اختيار الكلمات .. ولو إن الله سبحانه وتعالى استخدم كلمة هو في كل الآيات التي ذكرناها .. أو حذف كلمة هو من كل الآيات التي ذكرناها .. لما تنبه لذلك معظم الناس .. لمعنى الحديث على أساس أنه كلام بشر .. ولكنه كلام الله سبحانه وتعالى ..

لماذا التغيير

ونرى أن الدقة البلاغة في التعبير تتضمن التغيير في كل حرف يتم .. وفي كل كلمة تقال .. بل في نفس الكلمة مثلا .. مثل سقيناهم .. وأسقيناهم .. سقيناهم متعديا .. وأسقيناهم متعديا ..
«سقاهم ربهم شرابا طهورا»

هذا قول الله سبحانه وتعالى .. وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى :
«إإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم»

لماذا لم يقل لو استقاموا على الطريقة لسقيناهم .. مع أن سقى وأسقى بمعنى واحد .. وللهفظان يتعديان لمعنى .. ما هو الخلاف .. هل هي مجرد متراادات .. أم ألفاظ تتغير حتى لا تتكرر نفس الألفاظ .. أبدا .. كل تغيير له حكمه .. كل تغيير يحدد معينا لا يحدده غيره .. ونحن حين نأتي ونتابع القرآن الكريم نجد أن سقى تستخدم في الأمر الذي ليس فيه كلفة ولا علاج .. وأسقيناهم في الأمر الذي فيه كلفة وعلاج .. هذا في أمور الدنيا
«أسقيناهم ماء غدقا»

البلاغة في القرآن الكريم

أمر فيه كلفة .. فيه جهد .. نحن أوجدنا لهم الماء وجعلناه متواصلاً لديهم بلا تعب ولا نصب .. فهو موجود في البئر .. ولكن لكي تتم السقيا يجب أن يذهب الإنسان إلى البئر ليشرب .. أو أن يحضر له إنسان آخر الماء .. إذن هنا في أسقيناهم .. رغم أن الماء موجود بقدرة الله سبحانه وتعالى .. ومتوافر بقدرة الله سبحانه وتعالى .. إلا إن عملية السقا فيها عمل من الإنسان .. أو جزء من العمل .. فإذا أتينا إلى كلمة سقيناهم .. نجد الله سبحانه وتعالى يقول : «وسقاهم ربهم شراباً طهوراً»

هذا في الجنة .. بمجرد الخاطر ليس فيه كلفة .. إذا أحسست بالعطش وجدت الماء أمامك يصل إلى فمك .. هنا في الآخرة لا يوجد أى جهد ولا أى كلفة للإنسان في أى عمل يعمله .. فكل شيء في الجنة متى تمناه الإنسان وجده حاضراً أمامه .. إذن فقول الله سبحانه وتعالى ..

«وسقاهم ربهم شراباً طهوراً»

معناه أن السقيا هنا في الجنة ليس فيها أى جهد .. ولا أى كلفة .. ولذلك فرق الله سبحانه وتعالى بين السقيين .. رغم إنه هو الذي أوجد الماء أو ما يتم شربه في الحالتين ..

«يعلمون .. ويعقلون»

إذا مضينا نقرأ في القرآن الكريم .. نجد الله سبحانه وتعالى قد استخدم لفظاً معيناً .. وفي حالة ماثلة لم يأت بنفس اللفظ حتى إنك حين تسمع الآية تظن أنه سيأتي باللفظ الأول .. ولكنه لا يأتي به .. مثلاً يقول الله سبحانه وتعالى :

«أو لو كان آباءهم لا يعلمون»

ويقول الله سبحانه وتعالى :

«أو لو كان آباءهم لا يعقلون»

لماذا الاختلاف في الكلمة .. مع أن العلم والعقل واحد .. أقول إن هناك فرقاً كبيراً يحتم في مرة استخدام لفظ يعلمون .. وفي مرة استخدام لفظ يعقلون ..

نأتي إلى نص الآيتين الكريمتين في سورة البقرة يقول الله تعالى :

البلاغة في القرآن الكريم

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَبَعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا
أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٧٣﴾ وَمَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
كَمَثَلِ الَّذِي يَنْتَعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنَدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمَّا فَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

(سورة البقرة)

والآية الثانية في سورة المائدة ..

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ
إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴿٤٧﴾ ﴾

(سورة المائدة)

ولكن عندما يأتي المستشركون يقولون إن اللفظين مترادافان .. فالعلم والعقل .. العقل والعلم شيء واحد .. والعاقل من علم أو من استطاع أن يعقل العلم ، ويقولون إن هذه مترادفات إلى آخر ما يقال في هذا الموضوع . نقول لهم إنكم حينما تقولون هذا الكلام .. إنما لا تعرفون شيئاً عن بلاغة القرآن الكريم .. فالله سبحانه وتعالى لا يستخدم لفظين لأداء نفس المعنى ولكن كل لفظ له معناه .. كل لفظ يعبر بدقة عن المعنى المراد منه .. فالله سبحانه وتعالى عندما يقول يعقولون .. معناها إنهم لا يفهمون شيئاً أى ليس لهم عقول تفكير .. لا يتدبرون في أمر هذا الكون .. إنهم لا يستخدمون عقوتهم ..

البلاغة في القرآن الكريم



ولو استخدموها وفكروا وتأملوا قليلاً لوصلوا إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الباري .. وإن هذا الكون بدقته وبديعه لا يمكن إلا أن يكون من خلق الله سبحانه وتعالى .. هذه في كلمة يعقولون .. إذن هنا هو نفي عنهم التدبر والتعقل في أمور العبادة وفي أمور هذا الكون ..

ولكن عندما يقول الله سبحانه وتعالى لا يعلمون فهو قد نفي عنهم التعقل والعلم معاً .. يعني أنني قد أكون أنا باحثاً في هذا الكون .. قد أكون متأملاً فيه عاقلاً لما يدور .. فافكر بعقل .. وأصل إلى أشياء .. هذا هو الإنسان الذي يعقل .. أما قوله تعالى :

«لا يعلمون»

فهو يريد أن يقول لنا . إنهم بجانب عدم تدبرهم في هذا الكون .. وإنهم لا يعلّمون الآيات الموجودة فيه .. هم أيضاً لا يعلّمون ما علمه غيرهم من العلم .. فالذى لا يعقل لا يتدبّر ولا يفكّر في آيات الكون .. أما الذى لا يعلم فهو لا يفكّر بعقله .. ولا يعلم ما عقله غيره .. إنه ليس لديه علم .. ولا علم له من نتاج عقل غيره .. فالعلم أوسع من التعقل .. ذلك أن العلم قد يكون علم غيري دونه أو كتبه وسجله وأكون أنا في هذه الحالة قد أخذت هذا العلم .. وقرأته .. فكأنّي علمت ما عقله غيري .. وهذا يحدث لنا كل يوم فنحن حين نقرأ كتاباً جديداً نعقل ما علمه غيرنا .. وحين نذهب إلى الجامعة ندرس ما علمه الأساتذة وكبار المفكّرين .. فأنا لم أعقل الجاذبية مثلاً .. ولم أعقل قوانين الفضاء لأنني لم أشتغل بها لكي أصل إليها بعقل .. ولكنني علمتها عن طريق عالم في الفضاء .. أو في الجاذبية .. ووصل بعقله وفكرة إليها ثم قرأت أنا ما علمه هو .. فأنا هنا علمت ما عقله غيري .. فالله سبحانه وتعالى حين يقول لا يعلّمون في الآية الأولى .. أى إنهم لا يتدبّرون في الكون مستخدمن عقولهم .. لأنهم يقولون ..

«بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا»

ومن هنا فإن الله رد عليهم .

«أو لو كان آباءهم لا يعلّمون شيئاً ولا يهتدون»

ولذلك يصفهم الله سبحانه وتعالى :

«صم بكم عمي فهم لا يعلّمون»

البلاغة في القرآن الكريم

أى لا يسمعون ولا يرون ولا يتحدثون بآيات الله سبحانه وتعالى وهذا هو السبب في أنهم لا يعقلونها .. ولكن حين يقول الله سبحانه وتعالى : «لا يعقلون» .. تأك ردا على كافرين .. قالوا : «حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا»

هنا هم قد نطقوا .. قالوا : لا نريد شيئا .. ولا نريد علما .. يكفيانا ما وجدنا عليه آباءنا .. فرد الله سبحانه وتعالى :

«أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون»

أن أنهم لا يعلمون علما بعقولهم .. ويرفضون العلم الذي وصل إليه غيرهم .. وهكذا نرى الفرق بين كلمة لا يعقلون .. وكلمة لا يعلمون ..

نرزقهم .. ونرزقكم

نتنقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى تشهد على بلاغة القرآن الكريم .. ودقة التعبير فيه .. والقرآن الكريم مليء باعجاز لا ينتهي أبدا .. مثلا بعض الآيات في القرآن الكريم يقول العقل السطحي أن معناها واحد .. ويسأله لماذا غير الله سبحانه وتعالى الألفاظ .. ولكن المتذمرون في القرآن الكريم لا يمكن أن يقول إنها توارد ألفاظ .. فليس هناك شيء في القرآن الكريم اسمه توارد ألفاظ .. ولكن هناك دقة باللغة في التعبير .. واختيار اللفظ .. فالنظر إلى المعنى الذي قد لا يفطن إليه كثير من الناس .. مثلا فإن وأد البنات كان موجودا في الجاهلية .. ثم جاء الإسلام ليمنع هذا .. فقال الله سبحانه وتعالى :

«ولا تقتلوا أولادكم من املأق نحن نرزقكم واياهم» .. الكلام هنا عن الفقر وقتل الأولاد .. تأك بعد ذلك إلى الآية الثانية ..

«ولا تقتلوا أولادكم خشية املأق نحن نرزقهم واياكم» .. والأية الأولى «نحن نرزقكم واياهم .. والأية الثانية (نحن نرزقهم واياكم) .. نسأل ما هو الخلاف .. الآية الأولى تقول ولا تقتلوا أولادكم من املأق .. أى أن الفقر موجود فعلا .. الاملاق وهو الفقر موجود فعلا .. ثم يقول الله سبحانه وتعالى نحن نرزقكم واياهم .. مadam الفقر موجودا فعلا .. يكون الإنسان مشغولا بربقه أولا .. يبحث عن طعامه هو أولا ثم بعد ذلك يبحث

البلاغة في القرآن الكريم

عن طعام من سيأق به من أولاد .. هم الإنسان هنا هو البحث عن طعامه وطعام زوجته .. ومن هنا يقول الله سبحانه وتعالى : « نحن نرزقكم واياهم » .. أى انه يطمئنه أولا على رزقه الذي هو شغله الشاغل .. ثم بعد ذلك يطمئنه على رزق أولاده فيقول له : أنت فقير ومشغول برزقك .. وتخشى أن تأتيك الأولاد .. لأنك لا تملك ما تطعمهم به .. انى أرزقك .. وأرزقهم .. انك لك رزقك وهم لهم أرزاقهم لن يأخذوا من رزقك شيئا .. ولكن الآية الثانية تخاطب نوعا آخر من الناس .. الآية الثانية تقول : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم »

هنا الإنسان ليس مشغولا برزقه لا يخشى الفقر .. عنده ما يكفيه .. ولكنه يخاف أن رزق بطفل أن يصاب بالفقر .. أن يأخذ هذا الطفل جزءا من الرزق .. ويصبح الرزق لا يكفيه .. ويكتفى طفله .. ومن هنا فإن هذا الإنسان يخاف انجاب الأطفال .. لماذا ؟ لأنه يخشى أن يأخذوا من رزقه شيئا .. فيصبح فقيرا .. فيقول الله سبحانه وتعالى : « نحن نرزقهم وإياكم » .. الآية الأولى كان الشغل الشاغل للإنسان هو رزقه .. فخاطبه الله سبحانه وتعالى أولا بقوله نحن نرزقكم .. ليطمئنه أولا على رزقه .. الآية الثانية رجل ميسر في الرزق لكنه يخشى الفقر من الأولاد .. فالله طمأنه على أن الأولاد لن يأخذوا من رزقه شيئا بقوله سبحانه وتعالى « نحن نرزقكم وإياكم » .. إذن فالتغيير هنا لازم وضروري .. كل يخاطب حاله على حده .. ولكن لماذا قال الله سبحانه وتعالى : « نحن نرزقهم واياهم » وقال « نحن نرزقكم وإياكم » .. ولم يقل نحن نرزقكم جميعا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن نعرف إنه لكل إنسان في هذه الدنيا رزق مستقل عن الآخر .. وهذا الرزق الذي قسمه الله سبحانه وتعالى لا يستطيع إنسان آخر أن يأخذ منه شيئا .. ومن هنا فالمولود لا يأخذ من رزق أبيه شيئا .. والوالد لا يأخذ من رزق ابنه شيئا .. ولأعلم انى حينما أربق بمولود أن الله سبحانه وتعالى لا يقسم رزقى بيبي وبينه .. أو عندما أقتل المولود لن استثير أنا برق أكب .. أبدا ..

أنت العزيز

نأتي بعد ذلك إلى الآية الكريمة قول الله سبحانه وتعالى :

البلاغة في القرآن الكريم

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَخْذُونِي وَأَمِيَ
إِلَهَنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ
لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغُيُوبِ (١٠٣)

(سورة المائدة)

ثم يقول عيسى بن مريم :

إِنْ تَعْذِبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ (١١٨)

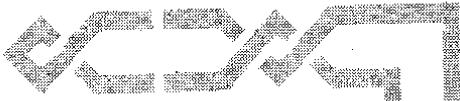
(سورة المائدة)

كون عيسى بن مريم يقول :

«إن تعذبهم فإنهم عبادك»

فهذا مفروغ منها .. فنحن جميعاً عباد الله مقهورون لا رادته .. خاضعون له سلطانه وتعالي ولقضائه .. ثم يقول عيسى بن مريم : (وإن تغفر لهم) هذا طبعاً ما يرجوه كل إنسان من الله سبحانه وتعالي الرحمة والمغفرة .. ولكن هنا يتبع كلمة « وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ». لماذا لم يقل إنك أنت الغفور الرحيم ؟ هنا موقف غفران .. فلماذا العزة في موقف الغفران .. وليس المغفرة والرحمة ؟ يقول بعض الناس إن العبارة غير متماشية .. وإن سياق الكلام كان يقتضي أن يقول عيسى بن مريم « إنك أنت الغفور الرحيم » ونحن نقول إن كل من يشير لهذا الكلام لا يفهم اعجاز القرآن .. فقول ابن مريم « إن تغفر لهم » .. يحمل نفس المعنى في إنك أنت الغفور وإلا أن لم تكن غفوراً فكيف تغفر . ولكن قوله إنك أنت العزيز الحكيم ما سبب وضع « العزيز الحكيم »

البلاغة في القرآن الكريم



هنا . . هل الآية مختومة بما لا يتمشى مع العقل ؟
 الآية مختومة بعبارة من أبلغ ما يمكن . . هنا في مطلب الغفران . . وهو يدعو
 الله أن يغفر لعباده . . فيقول له : وإن تغفر لهم . . فإنك أنت العزيز . . أي
 الذي لا يحاسبه أحد على ما يفعل . . فلا أحد سيأتي ليقول لله لماذا غفرت لهؤلاء
 الناس الذين عصوا ؟ لأنك أنت العزيز لا يحاسبه أحد . . وليس فوقه قوة . .
 فأنت يا رب إن أردت أن تغفر لهم فهي مشيئة رحمتك . . فإنك قادر . . لماذا ؟
 لأنك أنت العزيز تستطيع أن تفعل ذلك دون أن يسألوك أحد . . الحكيم الذي
 يتم كل أمر منك بحكمة .

وهكذا نرى أن هذه الكلمة وضعت بحكمة زيادة في الاستغفار . . زيادة في
 طلب المغفرة . . يارب اغفر لهم إنك أنت العزيز . . لا يحاسبك أحد . .
 ولا يعقب عليك . . وبالتالي فنحن نلوذ بشيئين بأنك غفور رحيم . . وبأنك
 عزيز حكيم . . غفور تغفر الذنوب للعاصين . . وعزيز تستطيع أن تغفر ما تشاء
 لمن تشاء . . بلا قيود . . ولا يحاسبك أحد على ما تفعل . . ولا يتعجب عليك . .
 ولا يسألوك . . إنك تستطيع أن تغفر الذنوب منها بلغت . . هل وضح الآن
 معنى استخدام كلمة « العزيز » ؟ !

ظلم النفس . . والسوء

ننتقل بعد ذلك إلى نقطة ثانية . . في الآية الكريمة . .
 « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم »
 . . وقوله تعالى :

« ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه »

بعض الناس يتسائل : أليست الفاحشة والسوء هما ظلم النفس . . إنها
 نفس الشيء . . فالذى يظلم نفسه يقودها إلى العذاب . . والذى يفعل فاحشة
 يقود نفسه إلى العذاب . . نفس الشيء . . بل إن بعض الناس يقولون إن
 العطف هنا غير واجب .

ولكنني أقول لهم أن دقة التعبير . . ودقة اللفظ من دقة القائل . . والله
 سبحانه وتعالى يبين لنا اعجوبة القرآن . . ويقول لنا إن هناك فارقاً بين من يفعل
 سوءاً أو فاحشة . . ومن يظلم نفسه . . ما هو هذا الفارق ؟

البلاغة في القرآن الكريم

الذى يفعل سوءاً أو فاحشة يفعلها ليحقق لذة عاجلة .. نفس ضعيفة يغلبها الهوى وتخضع لبريق الدنيا .. إنسان شرب الخمر .. حقق لنفسه لذة الخمر .. إنسان زنا .. حقق لنفسه شهوة عاجلة .. إنسان سرق مال غيره .. حقق لنفسه شهوة عاجلة بالتمتع بهذا المال .. هذا هو الإنسان الذى يفعل السوء أو الفاحشة .. أما الإنسان الذى يظلم نفسه فهو إنسان آخر .. إنه يرتكب إثما ولا يستفيد منه .. لا يعطى نفسه شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة .. حينئذ يكون قد ظلم نفسه .. بمعنى إنه لا أعطاها شيئاً عاجلاً .. ولا نجاحاً من عذاب الآخرة ..

ومن الناس من يبيع دينه بدنياه .. ومنهم من يبيع دينه بدنيا غيره .. الذي يبيع دينه بدنياه يطلب العاجلة .. أما من باع دينه بدنيا غيره .. خاب في الأولى والآخرة .. هو الذى ظلم نفسه .. ولكن كيف يظلم الإنسان نفسه .. فالإنسان حين يشهد زوراً ليؤذى غيره لم يستفدو هو شيئاً فقد ظلم نفسه .. ارتكب إثماً .. شهادة الزور دون أن يتحقق نفعاً دنيوياً ..

إذا قبض ثمن شهادة الزور .. يكون قد حقق نفعاً دنيوياً .. ولكن الذى يظلم نفسه هو الذى يفعل ذلك ليرضى غيره .. ونجد كثرين في الدنيا مثل هؤلاء .

إنسان يتهم إنساناً آخر بتهمة باطلة .. لا يستفيد هو شيئاً .. ويرتكب الأثم ، إذن هو ظلم نفسه .. إنسان يكتب تقريراً كاذباً في إنسان ليمنع ترقية .. أو يتطلع بحديث يختلقه عن شخص ليمنع الخير عنه أو يؤذيه .. أو يشى بشخص كذباً ليدخله السجن .. أو يضعه في الاعتقال .. أو يتتجسس على إنسان ليقف له تهمة لمجرد الانتقام النافه .. كل هؤلاء يظلمون أنفسهم .. إنهم يرتكبون الأثم في الدنيا .. ولا يجعلون لهفائدة لا في دنياهم .. ولا في آخرتهم .. فكان الذى ظلم نفسه هو الذى جعلها تدخل النار .. هو الذى جعلها ترتكب الأثم .. وفي نفس الوقت لم يعطها شيئاً على وجه الاطلاق .. فهو ظالم لنفسه في الدنيا .. ظالم لنفسه في الآخرة .. وهنا فرق بين التعبيرين .. ومن هنا لا نقول أبداً هذا عطف .. ولا ألفاظ متراداً بل دقة باللغة في التعبير ..

البلاغة في القرآن الكريم

نور . . وظلمات

تعبير آخر في القرآن الكريم . . والقرآن الكريم مليء بالعبارات الدقيقة . .
نجد أن الله سبحانه وتعالى حين يستخدم كلمة نور وظلم في القرآن الكريم
يقول (نور) ويقول ظلمات وظلمة . . ولكنه لا يقول أنوار . . أبداً هناك نور
وظلمة . . وهناك نور وظلمات . . ولكن الله سبحانه وتعالى لا يستخدم كلمة
«أنوار» إنه يخرج الناس
«من الظلمات إلى النور»

. . وليس إلى الأنوار . . لماذا؟ مع أن المنطقى أن يقال يخرج الناس من
الظلمات إلى الأنوار . . نقول له . . إنك لم تع الحقيقة جيداً . . في الدنيا هناك
ظلمات كثيرة . . ولكن ليس هناك أنوار . . هناك نور واحد هو نور الله سبحانه
وتعالى نور الحق . . ولذلك لا يستخدم الله سبحانه وتعالى إلا كلمة نور . . لأن
النور هو نور الحق . . ولا نور غيره . .

لكل نفس هو . . والهوى هو ظلمة . . وظلمة هذا غير ظلمة ذاك . .
الإنسان في كثير من الأحيان هو عبد لأهوائه . . والأهواء تختلف . . ومن هنا
يأق الصراع في الدنيا . . القتل . . السرقة . . الاعتداء على الغير . . إلى آخر
ما نشهده من صراع الحياة في كل مكان . .

هذه ظلمات . . كل في ظلمة مختلفة تبع هوى أصحابها . . هذا يقول
كلاماً . . وهذا يقول كلاماً آخر . . هذا يريد أن يتحقق شيئاً . . وذلك يريد أن
يتحقق شيئاً آخر . . كل إنسان يريد أن يأخذ مالاً حق له فيه . . وكل إنسان
يتحدث بما يعتقد أنه يتحقق له هواه . . إنسان يقول الشيوعية . . وأخر يقول
الرأسمالية وثالث يقول الاشتراكية . . هذه كلها كلمات . . وراءها هوى للنفس
يعتقد الإنسان أنه يستطيع أن يتحققه . . أن يعلو في الأرض . . أن يستبيح مال
وحرمات غيره . . أن يذل الناس بما أعطاه الله له من مركز . . أو مال . . أو
سلطان . .

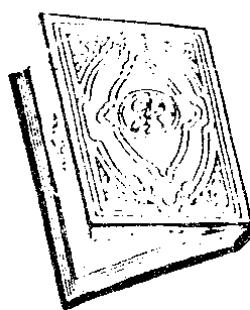
إذن هي ظلمات كثيرة . . كل إنسان منها له هواه . . ولكن الله سبحانه وتعالى
الحق . . وهو الذي وضع النور . . ليتمكن الإنسان من أن يعيش عيشة راضية
مطمئنة . . هذا النهج للحياة رسمه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم . . أما
كل ما نتخبط فيه بعيداً عن منهج الله فهو ظلمات . . ومن هنا فإن الله سبحانه

البلاغة في القرآن الكريم

وتعالى يخرجنا من ظلمات كثيرة إلى نور واحد .. هو نوره .. هو طريقه .. هو الحق ..

الله سبحانه وتعالى حين يستخدم كلمة «ظلمات» يتحدث عن أهواء الناس .. وهي مختلفة .. وحين .. يستخدم كلمة نور فهو يتحدث عن شيء واحد هو منهجه .. طريقه .. ذلك هو النور .. وإذا اتفقنا على خير لا يمكن أن نختلف .. لا يمكن أن تجد خلافاً بين أناس في قلوبهم الخير .. ورغبتهم إلى الخير .. وعملهم الخير لا يمكن أن يختلفوا .. ولا يمكن أن يكون الصراع والشقاء إلا على تحقيق أهواء النفس في الدنيا .. هل عرفت الحكمة من استخدام الله سبحانه وتعالى .. كلمة ظلمات بالجمع .. وعدم استخدامه لكلمة أنوار .. لأن هناك نوراً واحداً هو نور الله سبحانه وتعالى ..

هذه هي بعض الأمثلة البسيطة جداً .. والقرآن مليء بالاعجاز .. الاعجاز والدقة في التعبير .. اللفظ في مكانه .. فإذا تغير عن مكانه فإنما يريد الله سبحانه وتعالى أن يلفتنا إلى معنى آخر .. إلى شيء آخر ليس هناك مترادفات .. وليس هناك ألفاظ لا تتسم بالدقة .. وليس هناك كلمة في غير موضعها .. وإنما دقة متناهية في التعبير .. دقة متناهية في البلاغة .. ولكن بعض المستشرقين الذين يحاولون أن يصلوا عن سبيل الله .. أو الذين يدرسون القرآن الكريم ليحاربوه يقولون أن في القرآن تناقضًا ويزيدون على ذلك بأن هذا التناقض طبيعي لأن قائل القرآن .. كما يدعون .. هو محمد عليه السلام .. بشر فإنه أحياناً ينسى .. وأحياناً يمر عليه الزمن فيقول عكس ما قال .. إلى آخر ما في طبيعة البشر من عدم التذكر خصوصاً في الفترة الطويلة .. ويتحدثون عن التناقض في القرآن الكريم .. وأنا سأحدثكم عن التناقض الذي يدعونه .. في الفصل القادم من الكتاب ..



الفصل الخامس

الشافعى فى القرآن الكريم

التناقض في القرآن الكريم

السؤال الذي شغل بال المستشرقين . . وكل من يريد أن يحارب هذا الدين . . هو الادعاء بأن هناك تناقضاً في القرآن الكريم . . ولو بذل هؤلاء الناس لفهم القرآن الكريم نفس الجهد الذي بذلوه في محاولة إظهار ما أسموه بالتناقض في القرآن الكريم لاستطاعوا أن يصلوا إلى عظمة القرآن . . وإلى معجزة القرآن وإلى الدقة البالغة في كلام الله سبحانه وتعالى . .

ولكن المستشرقين يحاولون أن يأخذوا من المعجزة . . أهم ما فيها وهو إنها كلام الله سبحانه وتعالى . . وفي محاولاتهم هذه يلجمون إلى إظهار ما يسمونه «التناقضات» . . أو يطلقون عليه اسم «الأشياء المتنافضة» في القرآن الكريم . . وأساس هذا الاتجاه هو أن المعجزة وهي القرآن كلام الله سبحانه وتعالى . . وأن الله سبحانه وتعالى متنزه عن الخطأ . . متنزه عن النسيان . . متنزه عن كل ما في البشر من تناقض . . وبالتالي فإن وجود أي تناقض ولو كان ظاهرياً في القرآن الكريم يساعدهم على هدم المعجزة . . وعلى الادعاء أن هذا الكلام هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وليس متنزاً من عند الله . . ولكن الاعجاز القرآني . . الذي هو موجود في كل حرف من القرآن . . إنما يظهر أمامهم بهذه الصورة ل يجعلهم شهداء على المعجزة . . ول يجعلهم وهم يحاولون أن يحاربوا هذا الدين . . وأن يشوهو هذا الكتاب الكريم ببيان معجزاته . . ويظهرون ما خفى منها . . إذ أنهم يثرون ما يزعمونه أشياء تجعل العقل البشري ينشط في محاولة للرد عليهم . . وبالتالي فإنه في بحثه في القرآن الكريم تتبين المعجزة . . ويتبيّن أن هذا الكلام هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . . ولنبدأ الحديث من أوله . . ماذَا قال المستشرقون . . قالوا . . كلام بشر . . هل هو كلام بشر فعلاً؟ . . تعالوا نناقش ما أثاروه قضية قضية . . وإن كان هذا يحتاج إلى كتاب مستقل . .

خلق السماوات والأرض

جاءوا في أول الأشياء بالخلق . . خلق السماوات والأرض . . شيء هو من صنع الله سبحانه وتعالى حينما يتحدث عنه في القرآن الكريم . . فهو يتحدث

التناقض في القرآن الكريم

عن شيء لا يعلمه إلا الله .. وبالتأني فإن أي تناقض ظاهري في هذه العملية مسألة تخدم قضيتهم في محاربة هذا الدين .. ماذا قال المستشرقون ..؟ قالوا : إن القرآن الكريم قال في عدة سور .. أن الأرض والسموات خلقتا في ستة أيام .. وفي سورة فصلت : أن أيام الخلق ثانية .. وقالوا أنها هفوة بشرية .. ونسيان ..

خرجوا من ذلك بأن قائل هذا الكلام هو محمد صلى الله عليه وسلم .. وهذا هو هدفهم .. تعالوا نناقش ماذا قال القرآن الكريم في سورة الأعراف : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام » وقال في سورة يونس : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام . وفي سورة الفرقان :

«الذى خلق السموات والأرض وما بينها في ستة أيام» . . إذن أجمعـت كل هذه الآيات على أن خلق السموات والأرض وما بينها تم في ستة أيام . . لا خلاف في ذلك ولا جدال . . فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى سورة فصلت . . حيث فصل الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض يأتـي في الآية التي تقول :

فَلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكُفُرُونَ بِاللَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ
أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَسِيًّا مِنْ فَدْقِهَا
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءَكُلُّ سَائِلٍ يَسْأَلُ
ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِنِي طَوْعًا
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَাيِعَيْنَ ۝ فَقَضَسْهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۝

(سورة فصلت)

التناقض في القرآن الكريم

إذا أحصينا عدد الأيام في السورة الكريمة .. نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول أنه خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها .. وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام .. ثم استوى إلى السماء .. ثم يقول الله سبحانه وتعالى : « فقضاهن سبع سموات في يومين .. وأوحى في كل سماء أمرها » إذا أحصينا أيام الخلق في سورة فصلت نجد أنها ثانية يومان خلق الأرض .. وأربعة أيام قدر فيها رزقها وبارك فيها .. أيام الخلق هذه ستة أيام .. يومان آخران للسماءات إذن فهي ثانية أيام .. يأقى هنا المستشركون ليقولوا أن القرآن الكريم تناقض مع نفسه .. وأنه يقول في عدة آيات أن خلق السماءات والأرض في ستة أيام .. ثم يأقى ليقول أن الخلق تم في ثانية أيام .. ويضيفون أن هذه غفلة لأن قائله بشر .. ولو أننا دققنا في الآية الكريمة التي يجادلون فيها لوجدنا بدايتها تختلف عن الآيات السابقة فالله سبحانه وتعالى يقول : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين »

ومن هنا بدأت الآية بمخاطبة الكافرين الذين يجعلون الله أندادا .. ويجادلون فيه أى أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يخبرنا أن الذى يستخدم هذه الآية الكريمة في التشكيك في القرآن الكريم هم أولئك الكافرون الذين يريدون أن ينشروا ويديعوا الكفر بين الناس .. ويريدون أن يجعلوا الله أندادا .. وهم في الحالتين غير مؤمنين يحاربون الله .. ويحاربون دينه .. إن بداية هذه الآية معجزة .. لأن الذين يجادلون فيها .. هم أولئك الذين يحاربون هذا الدين .. ويكفرون بالله ويحاولون التشكيك .. فكعون الله سبحانه وتعالى قال في هذه الآية الكريمة : « وتجعلون له أندادا » ..

وقال :

« أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض » .

كأنما هو يخاطب هنا أولئك الذين سيأتون بعد قرون عديدة ليشكوا في القرآن الكريم مستخدمين هذه الآية بالذات في محاولة التشكيك .. ونحن نقول لهم أن من يقول هذا الكلام .. إما أن يكون متعمدا أو غافلا من مدلولات النص ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

التناقض في القرآن الكريم

«أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين .. وتجعلون له أندادا»

ثم يقول سبحانه وتعالى :

«وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها» .
إذن الله سبحانه وتعالى يتحدث هنا عن اتمام خلق الأرض .. هو يعطينا تفصيل الخلق .. فيقول خلق الأرض في يومين .. ثم يتم بعد ذلك الحديث عن الخلق فيقول .. «وجعل فيها رواسى وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام» مادام الحديث تتمة لنفس الشيء الذى بدأ الكلام عنه .. وهو الأرض ..
أى أن الله سبحانه وتعالى لم ينتقل إلى الحديث عن السموات .. وإنما هو يفصل كيفية خلق الأرض .. فهو يتم لنا زمن خلق الأرض .. فهو يقول : إننى خلقت الأرض في يومين .. ثم أتممت خلقها في أربعة أيام .. إذن فمدة الخلق ، كلها بالنسبة للأرض هي أربعة أيام .. وليس ستة .

ولنضرب مثلا يقرب ما نقوله للأذهان .. إذا فرضت أننى ذاهب إلى الإسكندرية .. وأن القطار سيتوقف في مدينة طنطا .. فأنا أقول أن القطار سيتوقف في مدينة طنطا بعد ساعة .. وفي الإسكندرية بعد ساعتين ونصف .. فهل معنى ذلك أن المسافة بين القاهرة والإسكندرية ثلاثة ساعات ونصف أبدا .. المسافة بين القاهرة والإسكندرية هي التي ذكرتها مؤخرا .. أما الساعة التي س يستغرقها القطار من القاهرة إلى طنطا فهذه جزء يدخل ضمن الساعتين والنصف .. لماذا ؟ .. لأن طنطا جزء من الطريق بين القاهرة والإسكندرية ..
والله سبحانه وتعالى يتحدث عن خلق الأرض .. فهو يقول سبحانه وتعالى .. إننى خلقت الأرض في يومين .. ثم أتممت عملية الخلق بأن جعلت فيها رواسى من فوقها .. وباركت فيها أقواتها في أربعة أيام .. كان الأيام الأربعة هي كل الفترة التي استغرقتها .. عملية خلق الأرض .. منها يومان خلق الأرض ..
ويومان لاتمام الخلق بأن جعل لها الله سبحانه وتعالى رواسى من فوقها .. وببارك فيها أقواتها .. المدة كلها هي أربعة أيام .. وليس ستة أيام .. الله سبحانه وتعالى أراد أن يفسر لنا أنه خلق الأرض في يومين ثم أتم خلقها بكل ما فيها من أقوات ورواسى بما في ذلك خلق الأرض نفسها أربعة أيام .. فكان اليومين الأولين جزء من الأيام الأربعة التي استغرقها خلق الأرض .. مثل بالضبط

التناقض في القرآن الكريم

عندما تقول أن القطار يستغرق من القاهرة إلى الإسكندرية ساعتين ونصفا .. وبين القاهرة وطنطا ساعة .. المسافة كلها ساعتان ونصف .. ولكنك أردت أن تفصل الجزء من الكل .. فذكرت بالتفصير جزءا من الكل .. وليس معنى هذا أن هذا الجزء اضافة للخلق .. هذا جزء من الكل نستخدمه جميعا في حياتنا اليومية كل يوم .. أقول وضعت أساس العماراة في ثلاثة أشهر .. وأتممت بناءها في عام .. هل معنى ذلك أن العماراة استغرقت عاما وثلاثة أشهر .. لا .. لقد أتمتها في عام .. ولكن جزء الأساس استغرق ثلاثة أشهر من عام البناء .. هنا تحدثت بالتفصيل .. والجزء من الكل .. ليس منفصلا .. ولا زائدا عنه .. تقول هذا المشروع تتم مرحلته الأولى في عام .. ويتبعها في عامين .. هل معناه أنه يستغرق ثلاثة أعوام .. لا .. عامين .. لأن المرحلة الأولى هي جزء من الكل ..

تفصيل الخلق

والله سبحانه وتعالى لم يفصل لنا في الآيات السابقة مراحل الخلق ولكنه أقى به مجملـا .. إنما في سورة «فصلت» .. تحدث أولا عن خلق الأرض .. خلق الأرض نفسها في يومين .. ثم أتم الخلق بأن جعل فيها رواسي .. وببارك فيها أقواتها في أربعة أيام .. هذه مرحلة خلق الأرض .. استغرقت أربعة أيام .. ثم بعد ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

«ثم استوى إلى السماء وهي دخان» ..

هنا انتقل الله سبحانه وتعالى من عملية خلق الأرض إلى خلق السماء .. فقال تعالى :

«ثم استوى إلى السماء وهي دخان» ..

مرحلة جديدة بعد إتمام خلق الأرض .. إن إتمام خلق الأرض استغرق أربعة أيام .. وخلق السماوات يومين .. فأيام الخلق ستة .. وهما من أيام الله سبحانه وتعالى ..

« وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون» ..

وهكذا نجد أن التناقض وهمي .. وأن المستشرقين أرادوا أن يستغلوا عملية تفصيل الخلق التي أوردها الله في سورة فصلت ليشككوا في القرآن .. وكان الله علـيـمـا قبل أن يـبـدـلـوا .. تـبـدـأـ الآيةـ الـكـرـيمـةـ بـقولـهـ :

التناقض في القرآن الكريم

«أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين .. وتجعلون له أندادا»
بدأها بهذا الكلام ليقول لنا من هم الذين سيجادلون في هذه الآية وينشروها
بالطريقة التي تهواها أنفسهم للأضلال عن سبيل الله .

الود .. والمعروف

نأى بعد ذلك إلى شيء آخر .. قول الله سبحانه وتعالى :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا أَبْاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾

(سورة المجادلة)

ثم يقول الله سبحانه وتعالى ..

﴿وَإِنْ جَاهَكُمْ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكُ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعُهُمَا وَصَاحِبِهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

يأتي المستشركون .. وكل من يحاول التشكيك في هذا الدين يقولون ما هذا ؟
في الآية الأول .. الله سبحانه وتعالى ينهانا عن أن نود من حاد الله ورسوله ..
ولو كانوا آباءنا .. وفي الآية الثانية في سورة لقمان يقول :
«وَإِنْ جَاهَكُمْ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكُ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعُهُمَا وَصَاحِبِهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» ..

إذن في الآية الأولى يقول لا تودهم .. وفي الآية الثانية يقول وصاحبها
معروفا .. كيف يمكن أن يستقيم ؟ أمران مختلفان في نفس الشيء ..
نقول أنه ليس هناك أى اختلاف .. ولكنك لا تفهم دقة تعبير القرآن
الكريم .. واللفظ في القرآن الكريم ..
ولنشرح ذلك بالتفصيل .. المعروف يفعله الرجل لمن يحبه بقلبه .. ومن

التناقض في القرآن الكريم

لا يحب .. ذلك أنك يمكن أن تسير في الطريق تجد إنسانا لا تعرفه .. ولا تربطك به أى علاقة .. ولكنك تجده في مأزق فتسدى إليه معروفا لتنقذه .. لأن يكون قد فقد حافظة نقوده مثلا فتعطيه مبلغا من المال ليصل إلى منزله أو تقدم له معونة .. قد يكون جائعا فتطعميه ثمن الطعام .. أنت هنا تفعل معروفا عسى الله أن يجزيك عنه .. لا يربطك بالإنسان الآخر أى صلة .. هذا هو المعروف .. ولكن المودة مكانها القلب .. هي في القلب .. أنت لا تود إلا من تحب .. لا تريد أن تجلس أو تعيش إلا مع من تحب .. المعروف لا يمس القلب .. ولكن المودة تمس القلب .. القلب في المودة يكون مع الشخص .. والقلب في المعروف لا يكون معه .. وإذا كان القلب مع إنسان غير مؤمن فهو قلب غير مؤمن .. والله لا يجعل لك قليين في صدرك . مصداقا لقوله تعالى :

«ما جعل الله لرجل من قليين في جوفه»

إنما امتداد المعروف هو رضاء الله سبحانه وتعالى .. ناق بعد ذلك إلى الآية الكريمة .. الله سبحانه وتعالى يقول في سورة المجادلة :

«لا تجد قوما يؤمرون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله» .. هنا استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة الود .. وكلمة الود هي التي تمس القلب .. هنا لا تجد مثلا إنسانا مؤمنا يحب إنسانا يحارب الله ورسوله .. حتى ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم .. الحب من داخل القلب .. من داخل النفس .. ثم يأك الله سبحانه وتعالى في مسألة الوالدين .. وبينهانا إن حاولا أن يمسا الإيمان في قلوبنا أن نستخدم العنف ضد هما .. أو نفعل أى شيء .. وهم في هذه الحالة يكونون في سن كبيرة .. ضعفاء .. اقتربوا من نهاية العمر .. هؤلاء الذين قدموا لنا المعروف بأنهم قاموا بتربيتنا .. وبالسهر علينا .. يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نحفظ لهم بالود أن كانوا مؤمنين .. وبالحب الكبير .. وإذا حاولوا أن يدخلوا الشرك إلى قلوبنا .. أو حاولوا أن يجعلونا نشرك بالله سبحانه وتعالى .. يطالينا بآلا نطعهما .. ولكن نصاحبها في الدنيا معروفا .. أدب القرآن الكريم .. نفعل ذلك ارضاء لله سبحانه وتعالى .. ومكافأة للجميل .. ولكن القلب لا يودهم .. المعروف لمن تحبه ومن لا تحبه .. أما الود فلمن تحب فقط .. أنت حين تسدى لها معروفا .. أى تعاملها معاملة

التناقض في القرآن الكريم

حسنة .. ولكن ليس بقلبك .. لأنها يحاولان أن يدفعاك للشرك .. تفعل ذلك ارضاء الله سبحانه وتعالى الذي يأبى ألا أن يكون رحيمًا حتى مع من يعصاه .. والذى ينهانا عن أي مقابل الإحسان بالإساءة .. والمعرف شىء .. والود شىء آخر تماما ..

أين هو التناقض الموجود .. هذه حالة .. وهذه حالة أخرى .. قلب مع الله لا يدخل فيه كافر .. ولا من يحاول أن يشرك به .. أما المعروف الذي أسليه إلى والدى فأمرني الله به .. رحمة بها .. كما ربياني صغيرا . إذ أن مناقشة الإيمان بين الابن والوالديه .. لا تتم إلا إذا بلغ الابن مرتبة الرجولة .. وفي هذه الحالة يكون الأم والأب قد بلغا مرحلة الكهولة .. وعلى أن أعاملهما بالمعروف رداً للجميل .. وارضاء الله سبحانه وتعالى الذي لا يقبل الجحود .. لكن المعروف ليس بقلبي .. وهذا مختلف تماماً عن ذلك ..

لماذا .. الأم وحدها

تنتقل بعد ذلك إلى نقطة ثالثة .. فالآيات التي ذكرت في القرآن الكريم .. نجد أن الله سبحانه وتعالى يوصي بالوالدين .. ثم لا يذكر إلا الأم .. مثلاً في سورة الأحقاف :

﴿وَصَّلَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِوَالَّدِيهِ إِحْسَنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلَهُ وَفِصَلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشْدَهُ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أُوزِّعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالَّدَّيَ﴾

(سورة الأحقاف)

وفي سورة لقمان :

﴿وَصَّلَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِوَالَّدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَىٰ وَهُنِّي وَفِصَلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾

التناقض في القرآن الكريم

أَنْ أَشْكُرِي وَلِوَالدِّيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿٢﴾

(سورة لقمان)

نجد أن الله سبحانه وتعالى أوصى بالوالدين .. ثم ذكر الأم وحدها دون الأب .. يأتى هنا بعض المستشرقين ويسألون : كيف أن الله سبحانه وتعالى لم يوصى إلا بالأم .. ثم ذكر في أول الآية الأم والأب .. وفي آخر الآية الأم والأب .. دون أن يوصى بالأب .. ثم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية يوصى من؟ .. هل هو يوصى الطفل وهو رضيع في حالة الحمل والولادة .. وهل يفقه هذا الطفل شيئاً .. وهل يقرأ القرآن أو يعقل .. هل يذكر الطفل شيئاً عن هذه المرحلة .. إذن من يخاطب القرآن ..؟ .. إذا كان يخاطب الطفل وهو رضيع .. فهو يخاطب إنساناً لا يعقل .. وإذا كان يخاطبه بعد أن كبر فهو يخاطب إنساناً عن فترة لا يتذكرها .. ولا يعرفها ..؟!!

نقول له إنك لم تفهم هذه الآية .. فالله سبحانه وتعالى في توصيته بالأم قد اختصها لأنها تقوم بالجزء غير المنظور في حياة الابن أو غير المدرك عقلاً .. بمعنى أن الطفل وهو صغير في الرضاعة .. وفي الحمل والولادة .. وحتى يبلغ ويعقل .. الأم هي التي تقدم كل شيء .. هي التي تسهر ترضعه .. وهي التي تحمل .. وهي التي تلد .. فإذا كبر الطفل وعقل من الذي يجده أمامه؟ أباً .. إذا أراد شيئاً فإن أبوه هو الذي يتحقق له .. إذا أراد أن يشتري شيئاً .. لعبة جديدة .. ملابس جديدة .. إذا أراد مالاً .. كل هذا يقوم به الأب .. إذن فضل الأب ظاهر أمامه .. أما فضل الأم فهو مستتر .. ولذلك جاءت التوصية بالأم أكثر من الأب .. لماذا؟ لأن الطفل حينما يتحقق له أبوه كل رغباته .. يحسن بفضل أبيه عليه .. ولكنه نادراً ما يقدر التعب الذي تعبته أمه .. وهو يزيد أضعاف ما يقدمه له أبوه .. ومن هنا جاءت التوصية بالأم .. حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمك .. أمك .. أمك .. ثلات مرات .. ثم قال أبوك .. ولكن ما هو الهدف من هذا التذكير إذا كان الإنسان لا يعقل هذه الفترة .. لا يتذكرها من حياته مطلقاً .. الهدف هو أن يرى ذلك على غيره .. ينظر إلى الأمهات ليرى كيف يتبعن .. وكيف يعانين ..

التناقض في القرآن الكريم

ويقاسين .. وكيف يسهرون على أطفالهن .. وماذا يتحملن من مشقة ..
وعندما يراه على غيره يدرك أن هذا قد حدث له .. ويحس به .. ولذلك يريد
الجميل .. الله سبحانه وتعالى يريد أن يذكرنا بتعب الأم .. ويريد أن يوصينا
باليائنين معا .. الأب والأم .. ولكنه يوصينا بالأم .. ويخصها بالذكر أكثر ..
لأن تعبيها غير واضح في عقل الابن .. بينما الأب ما يفعله واضح وظاهر أمام
الطفل .. هذا هو الهدف من الآية الكريمة ..

اق فلا تستعجلوه

ويعنى المستشركون في الحديث عن القرآن الكريم فيقولون انه في سورة النحل
يقول القرآن :

«اق أمر الله فلا تستعجلوه»

كيف يمكن أن يقول الله سبحانه وتعالى .. اق ثم يقول لا تستعجلوه .. اق
فعل ماض .. لأنه حدث .. ولا تستعجلوه مستقبل .. كيف يرضى هذا مع
ذلك .. نقول لهم أنت حين تتحدث عن الله سبحانه وتعالى .. فيجب أن تضع
في عقلك وذهنك وتفكيرك إن الله ليس كمثله شيء .. أنت لك قوة .. والله
قوة .. ولكن هل قوتك كقوة الله سبحانه وتعالى ! أنت لك قدرة والله قدرة ..
ولكن هل قدرتك كقدرة الله سبحانه وتعالى .. أنت تعيش في الزمن .. والله
 سبحانه وتعالى لا زمن عنده .. انه متزه عن الزمن .. اق هذه في علم الله
 سبحانه وتعالى .. حدث .. ومتى .. قال الله سبحانه وتعالى اق فقد حدث
 وتم .. وانتهى في علم الله سبحانه وتعالى .. في علم اليقين .. ولكن الأشياء
 تخرج من علم الله سبحانه وتعالى إلى علم البشر .. تخرج بكلمة كن .. الله
 سبحانه وتعالى حين يريد أن ينقل شيئاً من علم الله سبحانه وتعالى إلى علم
 الإنسان .. فإن كلمة «كن» .. تكون الأمر الذي يحمل التنفيذ ..
 الله سبحانه وتعالى عنده علم الساعة .. ومادام قد تقرر .. فليست هناك
 قوة في هذه الدنيا تستطيع أن تمنع حدوثه .. إنه لا محالة .. فلا تطلبوا بكلمة
 كن .. وأنتم في عجلة .. لماذا ؟ لأن المؤمن الحقيقي إذا كان يخشى شيئاً فإنه
 يخشى يوم الساعة .. ويوم الحساب .. وإذا كان يخشى شيئاً .. يخشى عدل الله
 سبحانه وتعالى .. الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها :

التناقض في القرآن الكريم



«وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضرًا»

الصغيرة قبل الكبيرة .. وإذا كان لا يترك شيئاً صغيراً فماذا يفعل في الكبائر .. والإنسان المؤمن يخاف يوم الحساب ويخشى مهـا كان إيمانه .. إنه يرتعـد من هول ذلك اليوم .. أما الإنسان الكافر المتحدى فإنه هو الذي عن جهل .. وعن عدم ادراك .. لا يعرف معنى الآخرة .. ولا معنى الحساب .. ومن هنا فهو يستعجل .. يريد أن يصل إلى الآخرة .. ولو علم ما فيها .. وما يتـظره فيها .. لما ذكرها على لسانه .. فحينـا يقول الله :

«أقْ أَمْرَ اللَّهِ»

أى أن الساعة تقررت .. وانتهى أمرها .. تم الأمر فلا تستعجلوه لا تستعجلوا يوم الحساب .. انكم تجهلون ما فيه من أحوال .. إذن فهو بالنسبة للـه تم وانتهى .. ولكـنه بالنسبة لـي أنا مستقبل .. فليس هناك أى تناقض بين استخدام الماضي والمستقبل .. لأن أقـ أمر الله في علم الله سبحانه وتعالـي .. ولكـنه في علمـي أنا .. وفي ادراكـي أنا .. وحتى يصل إلى أنا لا يزال مستقبلاـ حينـا يقول الله كلمة «كن» وينـفـخـ في الصور .. وهـل يـكـلـكـ إنسـانـ أن يـمـنـعـ اللهـ سبحانهـ وـتـعـالـيـ منـ تـفـيـذـ أمرـ قـدرـهـ .. لـاـ قـدـرـةـ فوقـ قـدـرـةـ اللهـ .. مـنـ الذـىـ يـمـنـعـ اللهـ أمرـ اللهـ يـأـقـ مـادـاـمـ قدـ قالـ «أقـ» أـنـتـ لـاـ تـكـلـكـ مـقـومـاتـ الـغـدـ .. ولـكـ الذـىـ يـكـلـكـ مـقـومـاتـ الـغـدـ هوـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ أـقـ .. إـذـنـ فـقـدـ تمـ فـعـلـاـ .. ولـكـنهـ مـحـجـوبـ عـنـ .. لـذـلـكـ قـالـ تـعـالـيـ :

«فـلاـ تـسـتـعـجـلـوـهـ»

هل رأـيـ محمدـ؟

نتـقلـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ نـقـطـةـ أـخـرـىـ .. يـقـولـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ فـيـ سـوـرـةـ الـفـيـلـ مـخـاطـبـاـ مـحـمـداـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ..

«أـلـمـ تـرـ كـيـفـ فـعـلـ رـبـكـ بـأـصـحـابـ الـفـيـلـ»

بعـضـ الـمـسـتـشـرـقـينـ يـقـولـ هـذـاـ قـصـورـ فـيـ التـعـبـيرـ .. «أـلـمـ تـرـ» هـلـ رـأـيـ محمدـ عـلـيـهـ السـلـامـ عـامـ الـفـيـلـ .. لـقـدـ وـلـدـ فـيـ عـامـ الـفـيـلـ .. إـنـهـ لـمـ يـرـ .. لـوـقـالـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ أـلـمـ تـعـلـمـ .. لـقـلـنـاـ عـلـمـ عـنـ غـيـرـهـ .. فـالـعـلـمـ قـدـ تـحـصـلـ عـلـيـهـ أـنـتـ .. وـقـدـ تـحـصـلـ عـلـيـهـ عـنـ طـرـيقـ مـنـ عـلـمـهـ مـنـ غـيـرـكـ مـنـ الـبـشـرـ .. ولـكـ اللـهـ

التناقض في القرآن الكريم

سبحانه وتعالى حين يقول ألم تر . . يقول المستشرقون في هذا . . إن التعبير قد خان حمداً عليه السلام . . فهو لم ير . . قوله ألم تر مجافة لحقيقة واقعة ثابتة . ولكن الذي فات هؤلاء إن هذه قضية من قضايا الإيمان . . ما يقوله الله سبحانه وتعالى للإنسان المؤمن . . هو رؤية صادقة . . والقرآن هو كلام متعبد بتلاوته لا يتغير ولا يتبدل . . فعندما يقول الله «ألم تر» . . معناها أن الرؤية مستمرة لكل مؤمن بالله . . ذلك لأن الرؤية هنا رؤيا معجزة كبرى . . والله يريد لها أن تثبت في عقولنا . . كما تثبت الرؤية تماماً . . لماذا؟ لأن قضية الإيمان الكبرى هنا هي إن الله سبحانه وتعالى في معجزة قد خلق من الضعف قوة . . وهذه لا يستطيع أن يفعلها إلا الله .

أنا أستطيع أن أعين شخصاً ضعيفاً . . على أن يحمل حملًا ثقيراً . . بأن أحمل عنه هذا الحمل . . ولكنني لا أستطيع ولا أقدر أن أجعل هذا الرجل الضعيف قوياً . . بحيث يقوم هو بنفسه بحمل هذا الحمل الثقيل . . ولكن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يستطيع أن يخلق من هذا الضعيف الذي لا حول له ولا قوة قوياً يهزء أقوى أقوياء العالم . . وأقوى ملوك الدنيا . . وهو إنسان ضعيف لا حول له ولا قوة . . هذه هي أحدى معجزات الله . . ومن هنا فإن الذي حدث في عام الفيل . . أن طيراً أبابيل تمسك في مناقيرها حجارة صغيرة جاءت . . وهزمت جيشاً من الأفيال . . أقوى جيش في العالم . . في ذلك الوقت . . ولو أنني عقلًا ومنطقًا قلت لإنسان أن طيراً . . أو مجموعة من العصافير قد هزمت فيلاً لسخر مني . . ذلك أن الفيل يستطيع أن يهلك مئات الطيور دون أن يصاب بأذى . . بل أن الطير يقف على ظهر الفيل . . فلا يحس الفيل به . . فكيف يكون هذا الطير يأق وكونه يفني هذا الجيش العظيم . . فقد استخدم الله أضعف مخلوقاته . . ليهزم خلقاً من أقوى مخلوقاته . . وهذه معجزة لا يمكن أن تتم إلا على يد الله سبحانه وتعالى .

بل إن بعض العلماء قد أخذ يتشكك في هذه الناحية من كثرة ما تناولها المستشرقون . . فادعى أو قال بعضهم إن الذي فتك بجيش أبره . . هو الأمراض والجراثيم التي سلطها الله على هذا الجيش . . وأننا لا نتفق مع هذا المعنى . . فعام الفيل حدث عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . رسول الله بعث في الأربعين من عمره . . أي أنه في ذلك الوقت كان هناك من

التناقض في القرآن الكريم



هم في سن الخامسة والخمسين .. والستين .. والخامسة والستين .. والسبعين .. ومن هم فوق ذلك .. من رأوا عام الفيل : . رأى العين .. ولو انه لم تأت هذه الطير .. ولو انه لم تلق بحجارة من سجيل .. ولو انها لم تجعل هذا الجيش عصفاً مأكولاً .. وهو ما يحتاج إلى أسابيع بالنسبة لأى جسم حيوان .. أو بشري .. لكان هؤلاء الناس قد قاموا وقالوا ان ما يقوله محمد غير صحيح .. لقد شهدنا عام الفيل .. ولم نر طيراً تأق .. ولم نرها تفني أعظم جيش بأحجار صغيرة تحملها في مناقيرها .. ولم نر هذا الجيش يتحول إلى عصف مأكول في لحظات .. فلأن أحداً لم يستطع أن يكذب هذه الواقعه .. وقت نزولها من رأوها .. دليل على أنها حدثت كما رویت في القرآن الكريم .. وليست محتاجة إلى تفسير لأن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء .. ومن هنا فإنه في القضايا الإيمانية يكون كلام الله سبحانه وتعالى هو الرؤية الدائمة التي تمثل أمامنا .. والتي تتكرر باستمرار في الحياة .. فكم من ضعيف نصره الله على أقوى الأقوياء .. وكم من قوى خذله الله وجعل نهايته على يد أضعف الضعفاء . كلام الله سبحانه وتعالى بالنسبة للمؤمن .. هو يقيني بمثابة الرؤية الدائمة .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى «ألم تر» .. ولم يقل رأيت .. أو علمت .. «ألم تر» حاضر متجدد مستمر يحدث وسيحدث على مر السنين إلى يوم الساعة .. إنه قضية الحق ينصر الله المظلوم على الظالم .. منها كانت قوة الظالم ، ومما كان ضعف المظلوم .. تلك قضية إيمانية كبرى يجب أن تراها في قلبك إذا كنت مؤمنا .. وترأها رؤية اليقين «ألم تر» .. هذا هو الإيمان .. وهذه هي الحكمة في استخدام الكلمة «ألم تر» .. تجعل المؤمن يحس بقوة الله وقدرة الله في كل ما يحدث .. بالنسبة للحق والباطل .. وقضايا الحق .. وقضايا الباطل .. حتى قيام الساعة ..

من هم الكاذبون؟

ونغضي لن مقابل ما يقوله المستشرون عن القرآن الكريم .. التناقض الذي يدعون أنه موجود فيه .. وهم في كل ما يثرونه اظهار لاعجاز القرآن الكريم .. قول الله سبحانه وتعالى في سورة المنافقون :

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشَهِدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾

التناقض في القرآن الكريم

إِنَّكَ لِرَسُولِهِ، وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾

(سورة المنافقون)

يقول المستشركون إن المنافقين قد شهدوا أن محمدا رسول الله .. وأن الله يعلم أن محمدا رسوله .. ويعلم أيضاً أن المنافقين كاذبون .. كيف يكون المنافقون كاذبين وهم شهدوا بما شهد به الله .. كيف تكون الشهادتان متفقتين .. في أن محمدا رسول الله ومع ذلك يكون المنافقون كاذبين .. مع اتفاق ما شهدوا به .. مع علم الله .. مع أن الكذب هو عدم مطابقة الكلام للواقع .. فهل كلام المنافقين بأن محمدا رسول الله ليس مطابقاً للواقع ؟ هذا تناقض .. هكذا يقول المستشركون ..

نأتي بعد ذلك إلى معنى الآية الكريمة .. هم أئى المنافقين قالوا :

«نشهد إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ .. وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ»
إذن فهى قضية صادقة .. فكيف يقول الله سبحانه وتعالى إن المنافقين كاذبون ؟ هل التكذيب هنا يقع على انك : رسول الله لا .. محمد رسول الله هذا صدق .. التكذيب هنا يقع على كلمة «نشهد» لأنهم قالوا .. نشهدوا إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .. فالتكذيب وارد على كمة نشهد لأن معنى الشهادة .. إننا نقول بأسنتنا ما في قلوبنا .. والله يعلم إن ما في قلوبهم يخالف ما يقولونه بأسنتهم .. إذن فقولهم «نشهد إِنَّكَ» .. كلمة نشهد .. هم كاذبون فيها .. كاذبون في أمر الشهادة .. لأنهم لا يشهدون .. ولا يؤمنون .. إن محمدا رسول الله .. إنما جاءوا لينافقوا بهذا الكلام .. لا عن صدق .. ولكن عن نفاق .. محمد رسول الله لا تكذيب فيها .. ولكن التكذيب منصب على كلمة «نشهد» .. في ذلك قال الله سبحانه وتعالى :

«وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ»

وهنا فرق بين الشاهد والمشهود به .. فرق بين تكذيب الشهادة .. وبين تكذيب المشهود به .. المشهود به إِنَّكَ رسول الله صحيح مائة في المائة .. ولكن شهادة المنافقين هي المكذبة .. ومن هنا ترى دقة التعبير في القرآن الكريم .

التناقض في القرآن الكريم

السؤال ليس للعلم

نأتي بعد ذلك إلى اعجاز آخر من اعجاز القرآن الكريم .. إن الله يقول في سورة الرحمن :

«فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان»

.. ويقول في سورة الصافات :

«وقفوهم إنهم مسئولون»

في الآية الأولى هناك نفي للسؤال .. وفي الآية الثانية هناك اثبات للسؤال .. كيف يكون ذلك .. هنا يأتي المستشرقون ليقولوا هذا تناقض في القرآن الكريم .. كيف يقول الله سبحانه وتعالى :

«فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان»

ثم يقول سبحانه وتعالى :

«وقفوهم إنهم مسئولون»

هذا تناقض .. محمد نسي ..

نقول لهم إنكم تقولون ذلك لأنكم جهلتم ماذا يكون السؤال .. والسؤال نوعان .. نوع تسأله لتعلم .. ونوع تسأله ليكون المسوؤل شاهدا على نفسه .. التلميذ حين يسأل أستاذه .. يسأله ليعلم .. ليعرف العلم .. ولكن حين يسأل الأستاذ تلميذه .. هل يسأله ليتعلم أو ليعلم .. لا .. فالأستاذ يعرف أضعاف أضعف تلميذه .. ولكنه يسأله ليكون التلميذ شهيدا على نفسه .. لا يستطيع أن يجادل .. أو يقول : لقد ذاكرت وهو لم يقرأ حرفا .. الأسئلة في الامتحانات مثلا لا تقوم وزارة التعليم بوضعها .. لأنها تحمل ما يعرفه الطلبة .. فترى أن تستزيد منهم على .. ولكن ليكون الطالب شاهدا على نفسه فلا يستطيع أن يجادل .. ورقة الإجابة موجودة وهي شاهد على درجة الطالب .. إن كان ممتازا أو ضعيفا .. أو لا يعرف شيئا على الاطلاق .. فالآية الكريمة ..

«فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان»

تنفي السؤال للمعرفة .. والله أعلم بذنوبهم .. الله سبحانه وتعالى يعلم .. وبالتالي فهو غير محتاج .. لأن يسأل للعلم .. وغير محتاج لأن يعرف منهم .. لأنه أعلم منهم .. ومن هنا لا سؤال .. لأن السائل أعلم من المسوؤل ..

التناقض في القرآن الكريم

فلا يكون السؤال للعلم .. ولذلك يقول الله :
«فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان»

أما في الآية الثانية «وقفوهم انهم مسئولون» .. أى انكم ستسألون لتقرروا الحقيقة والواقع في الحساب .. لا لتقولوا شيئاً لا يعلمه الله .. لتكونوا شهداء على أنفسكم .. وهذا ما تفسره الآيات التي قبلها .. والتي بعدها .. فإذاً أين هو التعارض .. وأى تناقض هذا الذي زعمه المستشركون في القرآن .. فالله سبحانه وتعالى يتحدث عن الكافرين والمكذبين .. لذلك تقول السورة : «قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كتم به تكذبون .. احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم .. وقفوهم انهم مسئولون»

السؤال هنا ليس للعلم .. ولكن انهم مسئولون ليكونوا شهداء على أنفسهم .. هذا الذي كتم به تكذبون .. هذا ما عبدتم من دون الله .. والآن جاء وقت الحساب .. لتكونوا شهداء على أنفسكم يوم القيمة .. أين ما كتمتم تعبدون من دون الله .. يسألهم عما كانوا يعبدون من دون الله .. ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

«مالكم لا تناصرون»

لماذا لا ينصركم أحد .. لماذا لا تنصركم المتكتم .. السؤال هنا ليس للعلم .. ولكن ليكونوا شهداء على أنفسهم ..

يحملون أوزار غيرهم

نتقل بعد ذلك إلى آية أخرى .. يقول المستشركون إن الله سبحانه وتعالى قال في سورة الأنعام :

«ولا تزر وازرة وزر أخرى»

وفي سورة فاطر :

«ولا تزر وازرة وزر أخرى»

وفي سورة النجم :

«ولا تزر وازرة وزر أخرى»

ثم يأتي الله سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت ويقول :

التناقض في القرآن الكريم

«وليحملن أثقالهم وأنقلا معاً أثقالهم»

كيف يمكن أن يحدث ذلك .. الله قضى بأنه لا تزر وازرة بأخرى ثم هنا يقول .. وللهم أثقالا مع أثقالهم أى أوزارا مع أوزارهم أليس هذا تناقضا .. لقد نسى محمد .. هكذا هم يريدون أن يقولوا .. ولكنهم يجهلون اعجاز القرآن في التعبير .. نقول لهم انه :

«ولا تزر وازرة وزر أخرى»

معناها أن كل إنسان يحمل ذنبه .. ولكن بعض الناس يوم القيمة يحملون ذنوباً مع ذنوبهم .. من هم .. المضلون الذين يأتون في الحياة الدنيا ليضلوا عن سبيل الله .. الوزر في الآية الأولى هو وزر الضلال .. فإذا كنت أنا ضالا .. وأنت ضال .. وفلان ضال .. كل منا يحمل وزره على نفسه .. فكل منا يحمل ضلاله وزرها .. فمن هنا فإنه لا يحمل ضال وزر ضال آخر .. ولكن هناك الضال .. وهناك المضل .. الضال هو من يضل الطريق .. يكفر بالله سبحانه وتعالى .. هذا هو الضال .. أما المضل فإنه لا يكتفى بأنه هو في الضلال .. لكن يضل غيره .. أى يأق إلى رجل مؤمن .. ويحاول أن يفسد إيمانه .. يأق إلى إنسان يتطلع إلى الله .. يحاول أن يجعله يكفر .. وربما ينجح في ذلك .. هؤلاء الناس «المضلون» لا يحملون أوزارهم فقط .. ولكن لهم نصيب من كل وزر يرتكبه الذين أضلواهم .. مصداقاً للآية الكريمة في سورة النحل :

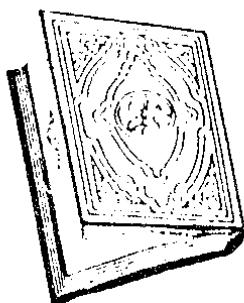
«ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة .. ومن أوزار الذين يضلوا بهم بغير علم»

إذن من يضل الناس .. ويعمل على نشر الكفر واللحاد .. والذين لا يكتفون أنهم هم في الضلال .. وحدهم ولكنهم يريدون أن يضلوا غيرهم .. لهم نصيب من كل وزر يقوم به أولئك الذين أضلواهم .. فأنا مثلاً حين آق بإنسان لا يشرب الخمر .. وأظل أغريه حتى أجعله يشرب الخمر .. وأقدمها له .. وأغريه بها .. له وزر لأنه عصى الله وشرب الخمر .. ولـي وزر لأنني أضللته وساعدته على المعصية .. وظللت أزيتها له حتى وقع فيها .. ومن هنا فإن الآية الأولى التي تقول : «ولا تزر وازرة وزر أخرى» .. يقصد بها الضالين .. أما الآية الثانية التي تقول :

«وليحملن أثقالهم .. وأنقلا معاً أثقالهم»

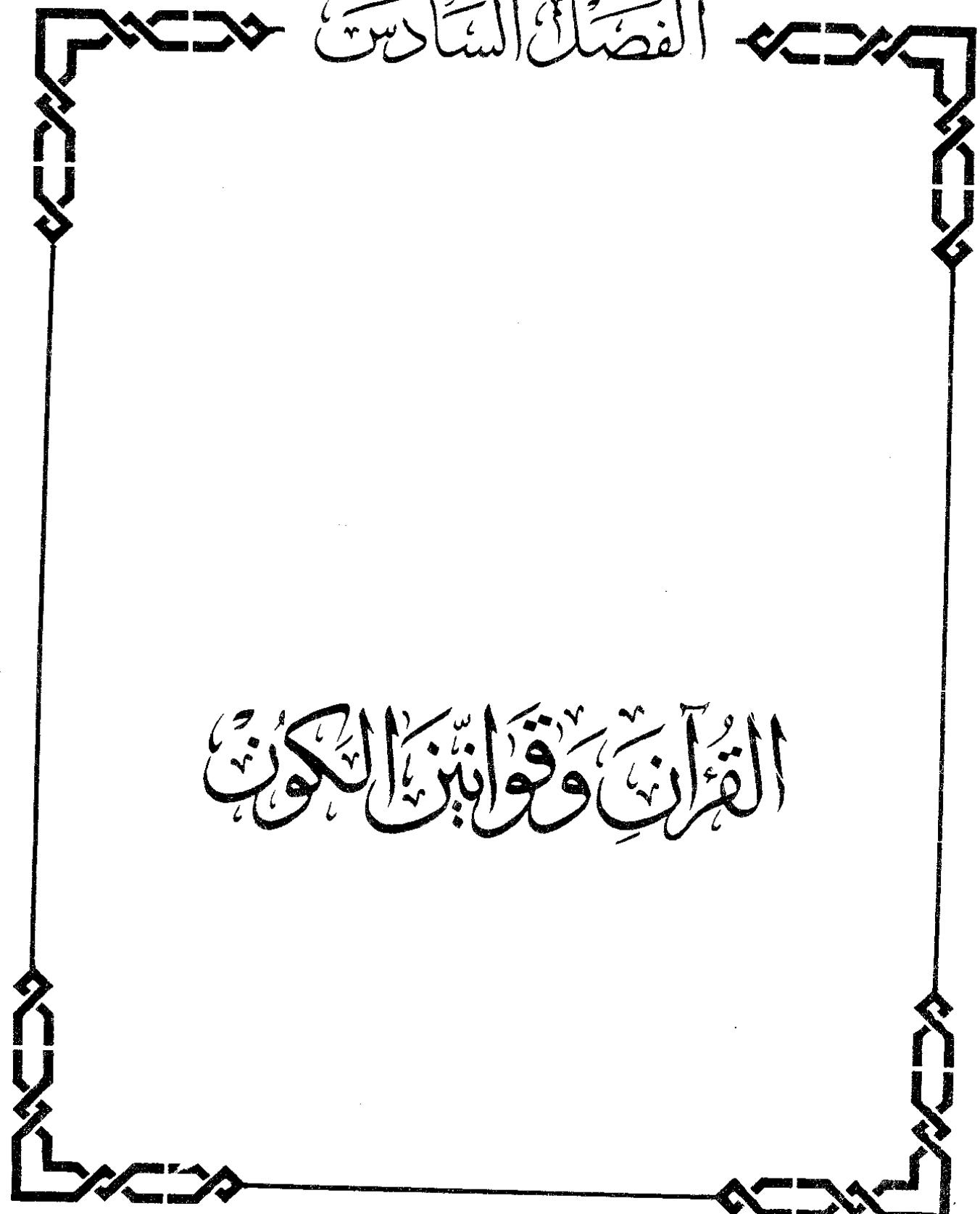
التناقض في القرآن الكريم

يقصد بها المضلين الذين يضللون عن سبيل الله .. فلهم نصيب من أوزارهم أولئك الذين أضلواهم .. والذين اتجهوا بهم إلى الكفر والاثم والعصيان .. هذه بعض التناقضات التي يحاول المستشركون أن ينالوا بها من القرآن الكريم .. وأن يقولوا انه قول بشر .. ولقد أوضحنا هذه التناقضات بشكل يظهر اعجاز القرآن فيها .. فلا تناقض في القرآن أبدا وإنما بلاغة ودقة في التغيير .. تجعل اللفظ والمعنى منسجمين تماما .. لا يتعدان عن بعضهما البعض .. ولا يؤديان إلا نفس المعنى المقصود بالنسبة لمقتضيات الحال .. على أن المضلين .. أو عددا من المستشركون لا يكتفون بذلك .. لا يكتفون بالقول بأن هناك تناقضا .. بل يقولون إن هناك تناقضا بين قوانين الكون وبين القرآن الكريم .. وفي هذا افتراء كبير .. وهذا هو موضوع الفصل القادم الذي ستحدث فيه عن « القرآن .. وقوانين الكون » .



الفصل السادس

القرآن وقوانين الكون



القرآن وقوانين الكون

هناك كثير من دواعي الاعجاز في القرآن الكريم لا يتتبه إليها العقل إلا بعد أن يبحث ويعيش وينشط .. هذا الاعجاز يظهر في دقة التعبير في القرآن الكريم .. ثم يظهر بطريقة أكثر وضوحاً فيما يحاول بعض المستشرقين أن يدعوه على القرآن من ادعاء بالتناقض ..

ولقد تحدثت في الفصول الماضية عن الاعجاز في بلاغة القرآن الكريم .. ثم تحدثت عن الاعجاز فيما يدعونه من تناقض القرآن الكريم .. والآن أنتقل إلى قضية يحاول البعض إثارتها ..

حين فشلت قضية التناقض جاءوا بشيء اسموه تصادم القرآن الكريم .. وحقائق الكون .. وادعوا أن بعض آيات القرآن تصادم مع الحقائق الكونية .. وهذا افتراء .. فلا يمكن أن يتصادم القرآن مع آية حقيقة كونية .. لماذا ؟

لأن القائل هو الخالق .. ولا يمكن أن يكون هناك إنسان أعلم بقوانين الكون من خالقه .. ولكن الهدف من الطعن في القرآن الكريم - ويجب أن نفطن لذلك - هو محاولة الإيهام بأن القائل بشر .. وستناقش في هذا الفصل بعض ما يقال عن تصادم القرآن الكريم وحقائق الكون ..

قبل أن نبدأ يجب أن نتبه إلى أن القرآن الكريم له عطاء متعدد .. وهذا العطاء المتعدد هو استمرار لمعنى إعجاز القرآن .. ولو أفرغ القرآن عطاياه كله أو إعجازه كله في عدد من السنوات .. أو في قرن من الزمان .. لاستقبل القرون الأخرى دون إعجاز أو عطاء .. وبذلك يكون قد جمد .. والقرآن لا يجمد أبدا .. وإنما يعطى لكل جيل بقدر طاقته .. ولكل فرد بقدر فهمه .. ويعطى للجيل القادم شيئاً جديداً لم يعطه للجيل الذي سبقه .. وهكذا .. وهذا ندرك كما ذكرت من قبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تنزل عليه القرآن لم يتعرض بالتفسير إلا لما تقتضيه أحكام هذا الدين في «افعل ولا تفعل» .. الأشياء التي إذا فعلتها نجوت .. وإذا لم أفعلها عوقبت .. أما ما هو متصل بقوانين هذا الكون مما سيكشفه الله من علم البشر في المستقبل .. وما سيظهر بعد ذلك للعالم .. فلم يتعرض له التفسير .. لماذا .. لأن العقل في ساعة نزول القرآن لم يكن عنده الاستعداد العلمي لفهم حقائق الكون ..

القرآن وقوانين الكون

ولذلك أخذ منها قدر حجمه .. وأعطاه القرآن ما يعجبه ويرضيه .. ثم مرت السنوات أو القرون .. وظهرت حقائق علمية حديثة .. فتبين لنا أن عطاء القرآن فيها كان عطاء متجددا ..

القرآن .. والنظريات العلمية

ولكن قبل أن نمضي في التحدث عن حقائق الكون .. فإننا يجب أن نجيب على سؤالين هامين .. السؤال الأول : هو محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية .. وهذا أخطر ما نواجهه ... ذلك أن بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفي محاولاتهم ربط القرآن بالتقدم العلمي .. يندفعون في محاولة ربط كلام الله بنظريات علمية مكتشفة .. يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة .. وهم في اندفاعهم هذا يتخدون خطوات متسرعة .. ويحاولون إثبات القرآن بالعلم .. والقرآن ليس في حاجة إلى العلم ليثبت .. فالقرآن ليس كتاب علم .. ولكنه كتاب عبادة .. ومنهج .. ولكن الله سبحانه وتعالى في علمه علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم .. سيأتي عدد من الناس .. ويقولون انتهى عصر الإيمان .. وبدأ عصر العلم .. ولذلك وضع في قرآنه ما يعجز هؤلاء الناس .. ويثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق الكون .. بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرنا .. ولم يكتشف العقل البشري معناها إلا في السنوات الماضية .. ولقد قلت أن عطاء القرآن الكريم متجدد مصداقا للآلية الكريمة :

« سنرיהם آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق » .. ويجب أن نتبّه هنا إلى حرف السين في الكلمة « سنرיהם » لأن معناها المستقبل .. والمستقبل هنا لا ينتهي .. بل أن عطاءه مستمر لهذا الجيل والجيل الذي بعده .. والجيل الذي بعده .. إلى يوم القيمة .. ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف عنها لكل جيل .. ولكن ليس معنى هذا أن نحمل معان القرآن أكثر مما تتحمل .. وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبيتنا بعلوم الدنيا .. فالقرآن لم يأت ليعطينا أسرار علم الهندسة .. أو علم الفلك .. أو علم الفضاء .. إلى آخر هذا .. ولكن

القرآن وقوانين الكون

القرآن يبدأ من أول سورة بعد الفاتحة .. وهي سورة البقرة ..
«ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» .

أى أنه كتاب هدى .. ولكن الله سبحانه وتعالى وضع في كتابه الكريم ما يمكن أن نرد به على الذين يحاربون هذا الدين حتى يوم القيمة .. ومن هنا فإن آيات الكون الكبرى التي أنبأنا الله بها في القرآن الكريم .. والتي نعرف بعضها .. وبعضها لا نعرفه معرفة اليقين حتى الآن .. أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نفحمنا بها أولئك الذين يقولون انتهى عصر الإيمان .. وبدأ عصر العلم .. وإن يقول لنا إن العلم الذي يحاول بعض المضلين أن يتذدوه إلها جديدا هو من علمي ومن خلقى .. فلا تعبدوا المخلوق .. وتنتركونا الخالق .. ولكن هذا يجعلنا نتخد العلم دليلا على صحة القرآن .. بل أن القرآن هو الدليل الحقيقي على صحة .. أو عدم صحة العلم .. فالعلم الذي يتناقض مع القرآن الكريم كاذب وغير صحيح ..

والقرآن هو كلام الله المتعدد بتلاوته إلى يوم القيمة .. لا تغيير فيه ولا تبدل .. ومن هنا فإن خطورة ربط القرآن الكريم بنظرية علمية كاذبة .. وما أكثرها .. يجعل موقف المفسر في حرج عندما يثبت كذب هذه النظرية .. فهو لا يستطيع أن يغير أو يبدل في كلام الله .. ومن هنا يجب أن نتربى وأن ندرس بإمعان وننتظر حتى ثبتت الحقيقة العلمية ثبوت اليقين قبل أن نتحدث عن ربطها بالقرآن الكريم ولا نأخذ حديثا براقا يكون مجرد فرض .. وليس نظرية علمية .. ونسرع ونربطه بكلام الله .. وحينئذ تكون قد ارتكبنا خطأ كبيرا في حق القرآن عندما يثبت كذب هذا الافتراض ..

لماذا .. تركها بلا تفسير

هذه واحدة .. أما الثانية فهي : لماذا لم يفسر القرآن الكريم الآيات العلمية لأولئك الذين عاصروا نزول القرآن .. وربما لأجيال بعدهم ؟!
المعروف أن حقائق الكون التي أعلناها الله في القرآن الكريم تمس قوانين كونية كبيرة ينتفع بها الإنسان سواء علمها أو لم يعلمها .. فالشمس .. ودوران الأرض .. والجاذبية الأرضية .. والليل والنهار .. وكل ما يتعلق بهذا الكون .. وعلم الأجنة وما يدور في الأرحام .. وكل ما يتعلق باستمرار النوع

القرآن وقوانين الكون

البشرى . كل ذلك من قوانين الكون . وقوانين الخلق ينتفع بها الناس سواء علموا بها أو لم يعلموا . الملائكة لا يعرفون شيئاً عن النظام الكوني . والتوازن الدقيق الموجود فيه . ومع ذلك ينتفعون به . الملائكة لا يعرفون شيئاً عن جاذبية الأرض . ومع ذلك ينتفعون بكل قوانينها . الملائكة لا يعرفون شيئاً عن حياة الطفل في رحم أمه . ومع ذلك فإن عدم العلم لم يمنعهم من إنجاب الأطفال .

ومن هنا لم يكن تفسير مثل هذه القضايا العلمية المتقدمة التي ذكرها القرآن ضرورة بالنسبة للذين عاصروا نزوله . لأنهم ينتفعون بها . سواء علموها أو جهلوها . ولذلك أعطاهم الله على قدر عقولهم . ثم فسر بعد ذلك للأجيال . كل جيل على حسب عقله .

نعود بعد ذلك إلى قول المستشرقين . هم يقولون أن قوانين الكون تتصادم مع القرآن الكريم . ونحن نؤكد لهم أن العلم الحديث قد أثبت أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن . إن القرآن الكريم لا يتصادم مع قوانين الكون . أو مع خلق الكون . ولكن هذا التصادم المزعوم يأكُل أحياناً عن حقيقة قرآنية أسيء تفسيرها . لتبدو في غير معناها الحقيقي . أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن . وكما قلت أعود فأكرر . إننا لا نريد أن نثبت القرآن بالعلم . بل أن العلم هو الذي يجب أن يثبت . ويلتمس الدليل من آيات القرآن الكريم . ذلك أن القرآن أصدق من أي علم من علوم الدنيا . ومن أي عالم في هذا العالم . لأن مكتشف هذا العلم أو مخرجه بشر . وقاتل القرآن هو الله سبحانه وتعالى . ومن هنا كما قلت فإني لا أحَاوِل أن أثبت القرآن بالعلم الأرضي . ولكنني أرد على الذين يقولون أن هناك تناقضات بين حقائق الكون الأساسية . وكلام الله سبحانه وتعالى .

الأرض . مددناها

نأتي بعد ذلك إلى حقائق القرآن . ، واسعة تفسيرها بحيث تتصادم مع حقيقة علمية . بعض العلماء يقولون أن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه العزيز . « والأرض مددناها » .

القرآن وقوانين الكون

ومعنى المد .. البسط .. أي بسطناها .. ونحن نرى الأرض مبسوطة أمامانا .. فلا تناقض بين القرآن الكريم .. وبين الظاهر موجود .. ولكن عندما اكتشفت كروية الأرض .. ثار علماء الدين واتهموا كل من يقول أن الأرض كروية بالكفر .. لأنه يخالف في رأيهم القرآن الكريم .. نقول لهم لقد أساءتم تفسير حقيقة قرآنية .. الله سبحانه وتعالى قد أعطانا الدليل على أن الأرض كروية .. بل أعطانا أكثر من دليل على ذلك في القرآن .. بل أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه خلق الأرض على هيئة كرة .. ولنناقش هذا كله ..

لقد قال الله سبحانه وتعالى :
« والأرض مددناها »

.. أي بسطناها .. ولكنه لم يقل سبحانه وتعالى أي أرض مبسوطة .. ومعنى ذلك أنك أيها تنظر إلى الأرض تراها مبسوطة .. إذا كنت في خط الاستواء .. فالأرض أمامك مبسوطة .. فإذا انتقلت إلى القطب الجنوبي فالأرض أمامك مبسوطة .. وإذا كنت في القطب الشمالي فالأرض أمامك مبسوطة .. وإذا كنت في أوروبا .. أو أمريكا .. أو آسيا .. أو أي قارة من قارات الأرض .. فالأرض أمامك مبسوطة .. الأرض مبسوطة أمام البشر جميعا في كل موقع موجودين فيه .. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية .. فلو أن الأرض مسطحة .. أو مربعة أو مثلثة .. أو مسدسة .. أو في أي شكل من الأشكال لوصلنا فيها إلى حافة .. وحيث أنه لا يمكن أن تصل الأرض إلى حافة فالشكل الوحيد الذي تراه مبسوطا أمامك ولا يمكن أن تصل فيه إلى حافة هو أن تكون الأرض كروية ..

وهكذا أبلغنا القرآن في كلمتين اثنتين « والأرض مددناها » .. أترى الإعجاز في القرآن الكريم لقد أثبت الله كروية الأرض .. وفي نفس الوقت اختار العبارة التي لا تتصادم مع مفهوم العقل البشري في وقت نزول القرآن .. ولكن في كلمتين اثنتين .. أعطانا الله السر في الأرض .. إعجاز لا يمكن أن يكون قائله بشر .. ولكن الله سبحانه وتعالى أعطانا أيضا في أربع كلمات .. أنه خلق الأرض على هيئة كرة .. أي أنها كانت كذلك ساعة الخلق ..

القرآن وقوانين الكون

الليل يسبق .. أَم النهار

حينما نأقى إلى الآية الكريمة ..
«وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ» ..
يقول الله تعالى في سورة يس :

﴿ لَا أَشْمَسُ يَنْبَغِي لَمَّا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرُ وَلَا أَلَّيلٌ سَاقِي الْنَّهَارِ ﴾

(سورة يس)

والحديث هنا عن قوانين الكون .. الشمس لا تدرك القمر .. لأنها كما قال العلماء يتحركان في خطين متوازيين لا يلتقيان أبدا .. هذه حقيقة علمية ظهرت في السنوات الأخيرة .. وذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. ولكن ما معنى «وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ» .. المعنى هنا نفي لشيء موجود غير صحيح .. ي يريد الله سبحانه وتعالى أن يصححه .. ي يريد أن يزيل هذا الواقع الخاطئ .. العرب كانوا يقولون أن الليل يسبق النهار .. واليوم عند العرب يبدأ بغرروب الشمس .. بمعنى أن رمضان يثبت بعد غروب شمس آخر يوم شعبان .. والعيد يثبت بعد غروب شمس آخر يوم من رمضان .. إذا كان العرب يقولون أن الليل يسبق النهار .. ومعنى ذلك أن النهار لا يسبق الليل .. إذن وجدت عندنا حقيقتان .. الليل يسبق النهار .. والنهار لا يسبق الليل .. النهار لا يسبق الليل .. تركها الله .. ولم يتعرض لها .. لأنها حقيقة .. ولكنه جاء إلى كلمة أن الليل يسبق النهار .. ورد عليهم بقوله تعالى :

«وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ» ..

إذن وجدت عندنا حقيقتان .. لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. لا النهار يسبق الليل حقيقة كانت موجودة .. ولم يتعرض لها القرآن لأنها حقيقة .. لا الليل يسبق النهار خطأ كان موجودا فصححه الله سبحانه وتعالى بقوله :

«وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ» ..

إذن لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. معنى ذلك أن الليل

القرآن وقوانين الكون

والنهار يوجدان معاً في وقت واحد على الأرض .. لأن النهار لا يسبق الليل .. والليل لا يسبق النهار .. وهذا لا يتأق إلا إذا كانت الأرض كروية .. لكن ليس هذا هو القصد النهائي من الآية .. الله سبحانه وتعالى أراد أن يصحح هذه الحقيقة .. ويقرر أن الليل والنهار موجودان معاً على الأرض ليبلغنا عن حقيقة خلق الأرض .. لو أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض مسطحة .. فاما أن تكون الشمس ساعة الخلق في مواجهة السطح .. وحيثند يكون النهار قد وجد أولاً .. ثم يأتي بعد ذلك الليل .. وإما أن تكون الشمس غير مواجهة للسطح ساعة الخلق .. ومن هنا يكون الليل قد أتى أولاً .. ثم بعد ذلك يأتي النهار .. ولكن كون الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن النهار والليل خلقا معاً .. لم يسبق أحدهما الآخر دليلاً على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض كروية .. لأنه حدد الشكل الوحيد الذي يوجد فيه الليل .. والنهار .. على سطح الأرض معاً ساعة الخلق .. وهكذا نرى القرآن قد مس حقيقة هامة في آية أو جزء من الآية يريد الله أن يخبرنا فيه بأنه خلق الأرض على هيئة كرة .. وأنه أوجد الليل والنهار معاً عليها .. فيقول سبحانه :

«**وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ**» ..

وعندما يتقدم الذهن البشري ويبحث .. ويعرف معنى الآية نجد أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بكل هذه الحقائق عن خلق الأرض على هيئة كرة .. وخلق الليل والنهار معاً .. في بعض كلمات ..

دوران الأرض .. والجبال

نتقل بعد ذلك إلى قضية دوران الأرض حول نفسها .. لترى أن الله سبحانه وتعالى يمسها في القرآن كحقيقة كونية .. فهو يتحدث حين يقول سبحانه في سورة النمل :

﴿وَرَأَى الْجِبَالَ تَحْسِبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَرْوِي مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ
اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

(من الآية ٨٨ سورة النمل)

القرآن وقوانين الكون

الجبال رواسي للأرض مفروض أن تثبتها وتنعها من الحركة .. ومن أن يحدث بها أى خلخلة أو اهتزاز .. هذه الجبال هى الرواسى التى تجعل الأرض لا تميد بالإنسان .. هى مركز الثبات الذى إذا نظرت إليها .. وإلى ضخامتها تعتقد أن الأرض ثابتة في مكانها لا تتحرك خطوة واحدة .. ثابتة جامدة .. يأتى الله سبحانه وتعالى ويقول :

«وترى الجبال تحسبيها جامدة وهي تمر من السحاب»

لماذا قال الله سبحانه وتعالى تحسبيها ..؟ قالها رحمة بالعقل البشري .. فالإنسان يظن أن الجبال جامدة .. ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أن هذه الجبال التي نراها أمامنا ونحسبيها جامدة .. تتحرك من مكان إلى آخر .. ولكنها «تمر من السحاب» .. لماذا ..؟ لأن السحاب لا يملك ذاتية الحركة .. لا يتحرك بنفسه .. إنما تحركه الرياح .. فالسحاب بدون الريح يبقى في مكانه .. ولكن الريح هي التي تدفعه من مكان إلى آخر .. ومن هنا فإن استخدام الله سبحانه وتعالى لكلمة «مر السحاب» .. يريد أن يبينا أن الجبال التي نحسبيها جامدة تتحرك ولكنها لا تتحرك بنفسها .. بل هي تابعة لحركة أخرى تدفعها .. تماما كما تدفع الرياح السحاب .. وإذا كانت الجبال وهي أوتاد الأرض ولا تتحرك ذاتية من نفسها .. فما الذي يدفعها .. محرك آخر .. وما هو المحرك الآخر .. انه الأرض .. وكأن الجبال تتحرك بحركة الأرض .. فلا بد أن الأرض نفسها تتحرك وتدور .. وإلا فكيف تقوم بتحريك الجبال وهي ثابتة .. ان الجبال في حركتها .. تابعة لشيء آخر يتحرك .. تماما كالسحاب الذي يتبع في حركته الريح والجبال ثابتة فوق الأرض فلا يوجد محرك آخر لها إلا الأرض .. وهكذا مس الله سبحانه وتعالى دوران الأرض بشكل بديع يبين لنا أن الأرض تتحرك وتدور حول نفسها .. وأن الجبال التي هي أوتاد الأرض تتحرك تابعة للأرض في حركتها .. وأننا نحسب هذه الجبال جامدة .. ولكن قول الله سبحانه وتعالى «تحسبيها جامدة» محتاج إلى وقفة .. ذلك أنه يقدم لنا حقيقة علمية أخرى ..

انك حين تكون فوق جسم متحركة حركة رتيبة لا اهتزاز فيها فإنك لا تحس بهذه الحركة إلا إذا قست هذا الجسم إلى جسم ثابت .. الطائرة حين تطير بنا .. إذا نظرت من النافذة .. فانك أحس بحركة الطائرة وطيرانها .. ولكن إذا

القرآن وقوانين الكون

أقفلنا النوافذ .. وكان الجو مستقرا ليس فيه أى اضطراب بحيث لم يصاحب هذا الطيران أى اهتزاز فإننى لاأشعر إطلاقا بحركة الطائرة .. لماذا ؟ لأن كل شيء داخل جسم الطائرة هو ثابت بالنسبة لى فالمقاعد ثابتة وموقع من يجلسون حولى ثابت .. ولا أحس فى هذا بآية حركة .. وكذلك بالنسبة للقطار والسيارة .. أنت حين تغلق النوافذ .. وتكون الحركة ذاتية متزنة هادئة لا اهتزاز فيها .. فإنك لا تحس بالحركة .. ولكن إذا فتحت النافذة وقشت الحركة إلى شيء ثابت فإنك تحس بالحركة ..

إذن فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا أنتم لا يمكنكم أن تدركوا حركة الجبال هذه بحسكم .. لأن وضعها بالنسبة للأرض ثابت .. ووضعها بالنسبة لكم ثابت .. ووضعها بالنسبة لكل شيء حولها ثابت .. ومن هنا فإنك تحسبها جامدة .. ولا تفطن إلى حركتها أبدا .. لأنه ليس هناك شيء أمامك .. تقيس الحركة به .. ولكنني أقول لك أن هذه الجبال تتحرك وهى في حركتها ليست لها حركة ذاتية أى أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان فوق الأرض .. بل تتبع الأرض في دورانها .. ثم تتعجب أنت لذلك فيقول لك الله سبحانه وتعالى لا تتعجب إنه « صنع الله الذي أتقن كل شيء » يكون هناك يقين ..

بعض الناس يقولون أن هذا الوصف ينطبق على يوم القيمة .. ولكننا نقول لهم أنه في يوم القيمة لا يكون هناك حساب ولكن يكون يقينا ..

« فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى عن الجبال يوم القيمة :

« ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها رب نسفا » ..

فكيف ينسفها الله ثم تحسبها جامدة ويقول الله سبحانه وتعالى :

« يوم تبدل الأرض غير الأرض .. والسماءات »

في يوم القيمة .. ينسف الله الجبال ويبدها .. وكل شيء أمامك يكون يقينا فأنت ترى الجنة .. وترى النار .. وترى الله رؤية اليقين .. فالحساب في الدنيا واليقين في الآخرة ..

الحديث عن الجن .. لماذا ؟!

على أن القرآن مس أشياء كثيرة .. لو كان هذا كلاما من عند غير الله ما غامر

القرآن وقوانين الكون

من يقوله في أن يمس هذه الأشياء .. الحديث عن الأجنة في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة المؤمنون :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَّمَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿٢١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مِكَابِنِ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلْقَةً ثُمَّ خَلَقْنَا الْعَلْقَةَ مُضْغَةً ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْسَانَهُ خَلْقَاءً اتَّحَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

(سورة المؤمنين)

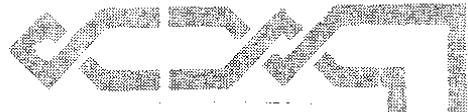
ما الذي يجعل محمدا عليه السلام يقترب قضية غبية .. ويقولها في القرآن الكريم وهي قضية يمكن أن تهدم الإيمان من أساسه .. فالقرآن كلام الله المتعدد بتلاوته ولا تغير فيه ولا تبدل إلى يوم القيمة .. ماذا يمكن أن يحدث مع تقدم العلم .. لو ظهر أن هذا الكلام غير صحيح ؟ وكيف يمكن لقضية الإيمان أن تستمر ؟ ولماذا يخاطر محمد عليه السلام في شيء غبي كهذا ؟ لم يطلب أحد منه أن يتحدث عنه .. أو أن يتحداه فيه .. ولكن لأن الخالق هو الله .. والقائل هو الله .. جاء الحديث عن الأجنة في القرآن قبل أن يصل إليه العلم .. ثماكتشف العلم صحة كل كلمة في القرآن .. إنه تحد .. وتحدى من الله سبحانه وتعالى ..

وفي أنفسكم

شيء آخر مسه القرآن مسا دقيقا وهو الجسم البشري وعلم الأعضاء .. يأق الله سبحانه وتعالى ويدرك الأذن دائما قبل العين .. ويقول الله «السمع والأبصار» .. ولا يقول البصر والسمع ..

يستوقفنا هذا لأن الإنسان حين يفقد بصره .. يفقد كل شيء .. يعيش في ظلام دائم .. لا يرى شيئا على وجه الاطلاق .. يصيطرد بكل شيء .. ولكن حين يفقد سمعه فإنه يرى وحينئذ تكون المصيبة أهون .. ولكن الله سبحانه

القرآن وقوانين الكون



وتعالى حين يذكر السمع يقدمه دائمًا على البصر ..
إن هذا اعجاز في القرآن .. لقد فضل الله سبحانه وتعالى السمع على البصر
لأنه أول ما يؤدى وظيفته في الدنيا .. ولأنه أداة الاستدعاء في الآخرة .. لأن
الأذن لا تناهى أبدا ..

إن السمع أول عضو يؤدى وظيفته في الدنيا فالطفل ساعة الولادة يسمع ولكن
العين لا تؤدى مهمتها لحظة مجىء الطفل في الدنيا .. فكأن الله سبحانه وتعالى
يريد أن يقول لنا أن السمع هو الذي يؤدى مهمته أولا .. فإذا جئت بجوار طفل
ولد منذ ساعات .. وأحدثت صوتا مزعجا فإنه يتزعج .. وي بكى ولكنك إذا
قربت يدك من عين الطفل بعد الميلاد مباشرة فإنه لا يتحرك ولا يحس بالخطر ..
هذه واحدة .. وإذا نام الإنسان فإن كل شيء يسكن فيه إلا سمعه .. إنك إذا
أردت أن توقظ النائم ووضعت يدك قرب عينه فإنه لا يحس .. ولكنك إذا
أحدثت ضجيجا بجانب أذنه فإنه يقوم من نومه فرعا .. هذه الثانية .. أما
الثالثة فهي أن الأذن هي الصلة بين الإنسان والدنيا .. الله سبحانه وتعالى حين
أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين قال :

«فَضَرَبَنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا» ..

ومن هنا عندما تعطل السمع استطاعوا النوم مئات السنين دون أي ازعاج ..
ذلك أن ضجيج الحركة في النهار يمنع الإنسان من النوم العميق .. وسكونها
بالليل يجعله ينام عميقا .. إذن الأذن هي التي تؤدى وظيفتها أولا .. وهي
لا تناهى أبدا .. وهي الصلة بين الإنسان والدنيا .. وأداة الاستدعاء في
الآخرة .. ولذلك فضلها الله سبحانه وتعالى :

على أن هناك شيئا آخر نلاحظه هو أن الله سبحانه وتعالى يأتى بكلمة السمع
مفردة دائمًا .. وكلمة الابصار مجموعة .. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة
فصلت :

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرِونَ أَن يَشَهِّدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ﴾

(سورة فصلت)

لماذا تأتي كلمة السمع مفردة .. وكلمة البصر مجموعة .. مع أنه كان يجب
أن يقول الله سبحانه وتعالى أسماعكم وأبصاركم .. وكان من المفروض أو

القرآن وقوانين الكون

المنطقى أن يكون هناك سمع وبصر .. أو أسماع وأبصار .. ولكن الله سبحانه وتعالى بهذا التعبير أراد أن يكشف لنا دقة القرآن الكريم .. فالبصر حاسة يتحكم فيها الإنسان بارادته .. فأنا أستطيع أن أبصر ولا أبصر .. وأستطيع أن أغمض عيني عما لا أريد أن أراه .. أو أدير وجهي أو أدير عيني بعيداً عن الشيء الذى أريد أن أتجاهله .. ولكن الأذن ليس لها اختيار في أن تسمع أو لا تسمع .. فأنت في حجرة يتكلم فيها عشرة أشخاص تصل أصواتهم جميعاً إلى أذنك .. سواء أردت أو لم ترد .. أنت تستطيع أن تدير بصرك فترى منهم من تريده أن تراه ولا ترى من لا تريده رؤيته .. ولكنك لا تستطيع أن تسمع ما تريده أن تسمعه .. ولا تسمع ما لا تريده .. قد تتجاهله .. وتحاول أن تبدو وكأنك لم تسمعه .. ولكنه يصل إلى أذنك سواء أردت أو لم ترد .. إذن فالابصار تتعدد .. أنا أرى هذا .. وأنت ترى هذا .. وثالث يرى هذا .. إلى آخر تعدد الابصار .. وإنسان يغمض عينيه فلا يرى شيئاً .. ولكن بالنسبة للسمع فنحن جميعاً مادمنا جالسين في مكان واحد .. فكلنا نسمع نفس الشيء .. ومن هنا اختلف البصر .. ولكن توحد السمع .. كل واحد له بصر .. ينظر به إلى المكان الذي يريده .. ولكننا كلنا نتوحد في السمع فيما نريد .. وما لا نريد أن نسمع .. ومن هنا جاءت كلمة الابصار .. بينما توحدت كلمة السمع .. ولم تأت كلمة الأسماع .. على أن الأذن مفضلة عن العين لأنها لا تنام .. والشيء الذي لا ينام أرقى في الخلق من الشيء الذي ينام .. فالأذن لا تنام أبداً منذ ساعة الخلق إنها تعمل منذ الدقيقة الأولى للحياة .. بينما باقي أعضاء الجسم .. بعضها يتضرر أياماً .. وبعضها يتضرر سنوات ..

والأذن لا تنام .. فأنت حين تكون نائماً تنام كل أعضاء جسمك .. ولكن الأذن تبقى متيقظة .. فإذا أحدث أحد صوتاً بجانبك .. وأنت نائم .. قمت من النوم على الفور .. ولكن إذا توقفت الأذن عن العمل .. فإن ضجيج النهار وأصوات الناس وكل ما يحدث في هذه الدنيا من ضجيج لا يوقف النائم .. لأن آلة الاستدعاء وهي الأذن معطلة .. كما أن الأذن هي آلة الاستدعاء يوم القيمة حين ينفح في الصور ..

والعين تحتاج إلى نور حتى ترى .. تعكس الأشعة على الأشياء .. ثم تدخل إلى العين فترى .. فإذا كانت الدنيا ظلاماً فإن العين لا ترى .. ولكن الأذن

القرآن وقوانين الكون



تؤدى مهمتها في الليل والنهار .. في الضوء والظلام .. والإنسان متيقظ .. والإنسان نائم .. فهي لا تنام أبدا .. ولا تتوقف أبدا .. أعرفت الآن لماذا فضل الله سبحانه وتعالى السمع على البصر .. وقدمه في القرآن الكريم؟!

الاحساس .. والجلد

شيء آخر يستوقفنا هو ما كشف عنه الله سبحانه وتعالى عن الحس .. القرآن يلمس هنا حقيقة كونية هامة .. لأنه يأتي ويعلمني كيف أعرف منافذ الحس .. أو مواضع الحس .. وهو يأتي ليمس هذا على أنه حقيقة كونية .. ولكنه لا يشرحه ككتاب طبي .. بل يقول الحقيقة .. فعندما يتحدث عن الكفار الذين يعبدون في النار .. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النساء :

﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

(سورة النساء)

أى أن الله قد حدد لي حكمة تبديل الجلد أو تغييره بأنه ليذيقهم العذاب .. إذن فالاذقة حسب القرآن محلها الجلد .. نأت الآن إلى الحقيقة العلمية التي تؤكد لنا أن كل أعصاب الاحساس موجودة .. تحت الجلد مباشرة .. وإن هذه الأعصاب التي تشعر بالألم وتجعل الإنسان يحس به وتنقله إلى المخ .. مكانتها تحت الجلد مباشرة .. إذن قول الله سبحانه وتعالى :

«بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب» ..

اعلان لحقيقة كونية يمسها الله في القرآن .. وهي ان الاحساس يتم بأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة .. وإن الله كلما أراد أن يذيق الكفار العذاب بدل جلودهم التي احترقت وماتت فيها أعصاب الاحساس بجلود سليمة لم تحرق ليذوقوا العذاب مرة أخرى .. فحينما يأتي الطب ليقول لنا أن أعصاب الجسم تحت الجلد مباشرة .. نقول إن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بهذه الحقيقة في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ..

على أن نواحي الاعجاز في القرآن الكريم لا تقتصر على ما ذكرت لكن هذه بعض أمثلة بسيطة .. ولقد تحدثت في الفصول الماضية إن الله سبحانه وتعالى قد

القرآن وقوانين الكون

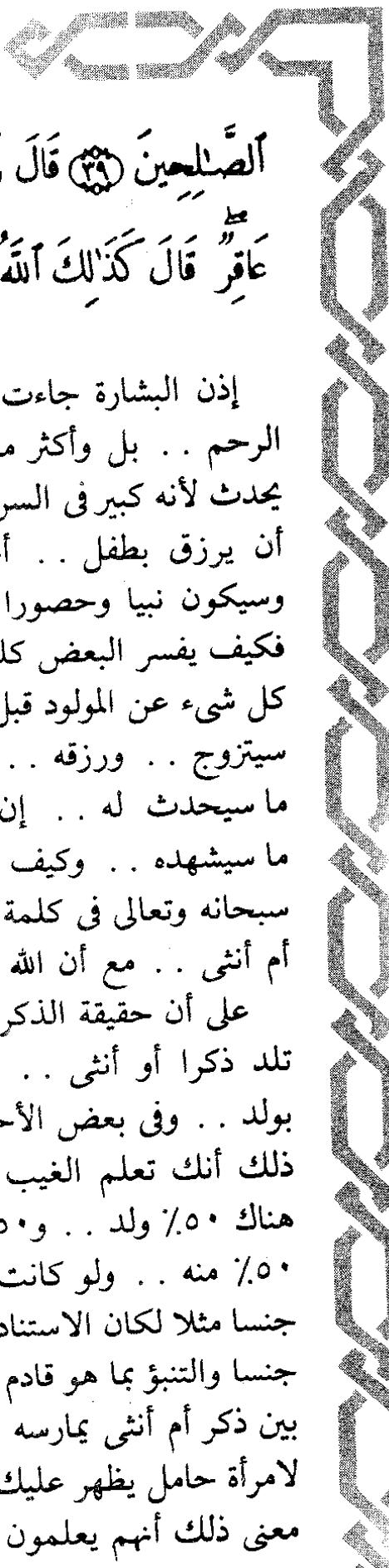
قال سيروا في الأرض .. ولم يقل سيروا على الأرض .. وبين العجائب في ذلك بأننا نسير فعلاً في الأرض .. بين الغلاف الجوي والسطح .. كما بينت معنى الآية الكريمة « رب المشارق والمغارب » .. وهذا كلّه يعتبر اعجازاً هائلاً للقرآن الكريم .. وهناك نواحيٌ أخرى سنبين بعضها فيما بعد ..

طفل الأنابيب !

إننا قبل أن ننتهي من هذا النقاش .. يجب أن نتحدث عن حقيقة علمية .. وهي ليست حقيقة علمية .. يأكُل بعضها الناس ليقولوا إن العلم قد استطاع أن يصل إلى نوع الجنين .. هل هو ذكر أم أنثى .. ويزيدون على ذلك أن العلم استطاع أن يخلق ما يطلقون عليه طفلاً صناعياً .. وإن هذا يتناقض مع أحد المغيبات الخمسة .. وهي : « ويعلم ما في الأرحام » ..

ونحن نقول لمن يدعى هذا الكلام .. من الذي قال لك أن كلمة « ما » معناها ذكر أم أنثى .. إن كلمة « ما » معناها شقي أم سعيد .. طويل أم قصير .. أبيض أم أسود .. عمره .. رزقه .. أجله .. اسمه .. كل شيء عن المخلوق الذي سيأتي إلى الدنيا .. بل إن الله سبحانه وتعالى أخبر « زكريا » بابنه قبل أن يولد .. وأخبره باسم هذا الابن .. وهو اسم لم يكن البشر يتسمون به .. وقال له عن مستقبله عندما يكبر .. إنه سيكون سيداً .. وحصوراً ونبياً من الصالحين .. كل ذلك قبل أن يوجد هذا الطفل في رحم « زوجة زكريا » .. بل قبل أن يتم الخلق تماماً .. فهذا البلاغ كان في المحراب .. وزكريا يصل يطلب ولداً .. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران :

﴿ هَنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ فَنَادَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُدِيرُ شُرُكَ بِهِيَ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسِيداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِّنْ



الصلحٰين (٢٩) قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ (٣٠) (١٧)

(سورة آل عمران)

إذن البشارة جاءت هنا وكل شيء عن المولود الجديد قبل أن يتم خلقه في الرحم .. بل وأكثر من ذلك كان زكريا نفسه غير مصدق أن ذلك يمكن أن يحدث لأنه كبير في السن وامرأته عاقر .. في هذه اللحظة التي يستبعد فيها زكريا أن يرزق بطفل .. أخبره الله أنه سيرزق بولد .. ويكون اسمه « يحيى » وسيكون نبياً ومحضوراً ومن الصالحين .. وهذا هو بعض تفسير كلمة « ما » فكيف يفسر البعض الكلمة « ما » أنها ذكر أو أنثى .. مع أن الكلمة « ما » تتناول كل شيء عن المولود قبل أن يولد .. وفي أي أرض يموت .. ومستقبله .. ومن سيتزوج .. ورزقه .. وهل هو سعيد أم شقي .. طويل أم قصير .. وكل ما سيحدث له .. إن الكلمة « ما » تتناول كل حرف في حياة الإنسان ، ما سيشهده .. وكيف سيعيش ، وإلى أي البلاد سيهاجر .. إذن فعلم الله سبحانه وتعالى في الكلمة « ما » علم غير محدود .. فكيف تأتي أنت وتحدد به ذكر أم أنثى .. مع أن الله سبحانه وتعالى لم يحدده .. بل قال « ما » في الأرحام ؟ على أن حقيقة الذكر والأنثى ليست حقيقة علمية .. ذلك أن الزوجة إما أن تلد ذكراً أو أنثى .. وفي بعض الأحيان تقول أنا سأرزق بولد .. وترزق بولد .. وفي بعض الأحيان تقول أنا سأرزق بنت وترزق بنت .. وليس معنى ذلك أنك تعلم الغيب .. ولكن هناك ٥٠٪ من الحقيقة في كل افتراض .. هناك ٥٠٪ ولد .. و ٥٠٪ بنت .. وأنت أن جاء تخمينك صحيحًا فلانك معك ٢٠٪ منه .. ولو كانت أجناس البشر متعددة غير ذكر وأنثى .. لو كانوا ٢٠ جنساً مثلاً لكان الاستناد إلى العلم هنا فيه شيء من الدقة لأن التمييز بين عشرين جنساً والتنبؤ بما هو قادم مما يحتاج فعلاً إلى طريقة علمية دقيقة .. ولكن التمييز بين ذكر أم أنثى يمارسه بعض الناس الذين لم يقرأوا في حياتهم كتاباً .. يقولون لامرأة حامل يظهر عليك أنك سترزقين بولد .. ويأتي المولود ولداً فعلاً .. فهل معنى ذلك أنهم يعلمون ما في الأرحام .. إنها مسألة يصدق فيها التخمين كثيراً

القرآن وقوانين الكون

ولكن بعض الناس يأتون ويهللون ويقولون أن أحد المغيبات الخمسة قد انتفى وهذا غير صحيح على الاطلاق .. إن ما «في الأرحام» يشمل أكثر كثيراً من علم البشر من الآن وحتى يوم الدين .

نأتي بعد ذلك إلى النقطة الأخرى وهي الطفل الصناعي .. وهذه نقطة يثور حولها الجدل في هذه الأيام حول طفل الأنابيب .. وما إلى ذلك .. وأنت إذا أردت أن تصنع بشرا .. فالمفروض أن تأتي بالمادة الحية تصنعها أولاً ولكنك حينما تأخذ ما خلق الله وتيسر عملية الخلق بما كشف الله لك من علم لا يكون هذا أبداً فيه صناعة أو طفل صناعي .. أنت أخذت ما خلقه الله من الرجل وأوجدت له الطريقة ليتم ما أراده الله فيما خلقه الله للأنثى .. إذن أنت لم تفعل شيئاً سوى أن كان هناك سبب يمنع الحمل .. واستطعت أن تتغلب عليه بطريقة ما .. ولكن المادة الحية والرحم الذي نما فيه الطفل هما من خلق الله سبحانه وتعالى .. فأين ما خلقت أنت من طفل صناعي .. أو طفل الأنابيب؟! إنك لم تخلق شيئاً .. وإذا كان الله قد يسر لك سبيلاً لمعالج عقماً باستخدام ما خلقه الله .. لاستمرار حياة البشر في الأرض .. فأنت لم تخلق شيئاً .. ولو أردت فعلاً أن تريننا إنك تستطيع أن تخلق طفلاً صناعياً .. فأبداً أولاً بخلق المادة الحية والعلم كله عاجز عن أن يخلق خلية حية .. ولكن كل هذا محاولة للأضلال .. على أن معجزة القرآن لم تأت لتبيّن أو تكشف عن بعض أسرار الكون .. وتلمس الحقائق الكونية الكبرى .. وإنما جاءت لتحدى .. القرآن مادام معجزة فلابد أن فيه تحدياً .. ولقد تحدى القرآن العرب بالبلاغة ولكن الإسلام هو دين البشرية كلها .. ولذلك كان للقرآن أن يتحدى الذين عاشوا وقت نزوله من غير العرب .. ثم يحمل تحدياً لكل جيل بعد ذلك وإلا فالمعجزة لا تكون قائمة ..

ولقد استطاع القرآن أن يمزق حجب الغيب كلها .. ممزق حجاب الماضي .. وحجاب الحاضر .. وممزق حجاب المستقبل .. وممزق حجاب النفس البشرية .. وممزق حجاب كل الأشياء التي لا يمكن أن يصل إليها علم إلى الآن .. وما زال القرآن يتحدى .. ولا أحد يستطيع أن يواجه هذا التحدي .. وهذا التحدي هو ما سنبيّنه في الفصل القادم ..

الفصل السابع

القرآن من قح و لحن العجيب

القرآن مرق حواجز الغيب



حينما جاء القرآن تحدى في أشياء كثيرة .. تحدث عنها .. ولكن في تحديه مرق حواجز الغيب .. مرق حواجز الزمان والمكان .. فحواجز الغيب ثلاثة .. أولها حاجز المكان .. أى أن أشياء تحدث في نفس اللحظة .. ولكن لا أعرف عنها شيئا .. لأنها تحدث في مكان .. وأنا موجود في مكان آخر ..

ثم هناك حاجز الزمن الماضي .. وهو شيء حجبه عن زمن مضى .. فأنا لم أشهده .. وحاجز المستقبل وهو ما سيحدث غدا .. لأن حاجز الزمان المستقبل قد حجب عن فلم أشهده .. إذن فحواجز الغيب ثلاثة .. حاجز المكان .. وحاجز الزمن الماضي .. وحاجز الزمن المستقبل .. على أن هناك أيضا حاجزا آخر .. هو حاجز النفس البشرية .. ما يخفيه الإنسان داخل نفسه .. إذا قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضي .. فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة .. ويروى لنا قصص الرسل السابقين .. ويحكى لنا أشياء لم يكن أحد يعرفها .. وعلى لسان من .. على لسان نبي أمى لا يقرأ ولا يكتب .. ويحكى أسرار الماضي .. ويتحدى الذين يكذبون .. مرق الله حجاب وحاجز الزمن الماضي .. ويكتفى أن تقرأ في القرآن .. «وما كنت وما كنت وما كنت» .. لتعرف كم أخبر الله رسوله بأنباء من غيب الماضي .. «وما كنت بجانب الغرب إذ قضينا إلى موسى» ..

«وما كنت لدיהם إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم» .. أى إنك لم تكون هناك يا محمد .. ولكن الله هو الذي أخبرك ومرق لك حجاب الزمن الماضي ..

«وما كنت ثاويا في أهل مدین تتلو عليهم آياتنا» ..

«وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك» .. وهكذا نرى أن القرآن مرق حجاب الزمن الماضي في أكثر من مناسبة ليخبر حمدا عليه السلام بالأخبار الصحيحة عمن سبقوه من الرسل والأنبياء .. ويصحح ما حرف من الكتب السماوية التي أنزلها الله وحرفها الرهبان والأحبار .. بل إن الاعجاز هنا جاء في تصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية التي سبقت القرآن .. وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتحدى بالقرآن أخبار اليهود ورهبان النصارى .. ويقول لهم هذا من عند الله .. في التوراه أو الانجيل ..

القرآن مزق حواجز الغيب

وهذا حرفتموه في التوراة أو الانجيل .. ولم يكونوا يستطيعون أن يواجهوا هذا التحدى أو يردوا عليه .. ذلك أن التحدى للقرآن في تمزيق حجاب الزمن الماضي .. وصل إلى أدق أسرار الرسالات السماوية الماضية .. فصححها لهم .. وبين ما حرفوه منها وما أخفوه .. وتحداهم أن يكذبوا ما جاء في القرآن فلم يستطعوا .. ومن ذلك قوله تعالى في سورة مرريم :

«ذلك عيسى ابن مرريم قول الحق الذي فيه يمرون» ..

ثم جاء الأمر الثاني .. فمزق الله حجاب المكان لمحمد عليه الصلاة والسلام .. وجاء في أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس .. وهنا وقبل أن نبدأ .. أحب أن نضع في أذهاننا جيدا .. أن القرآن هو كلام الله المتبع بتلاوته .. وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير لا يجرؤ أحد على أن يمسه أو يحرقه .. ومن هنا فإن هذا الكلام حجة على محمد صلى الله عليه وسلم مأخوذه عليه .. فإذا أخبر القرآن بشيء .. واتضح أنه غير صحيح .. كان ذلك هدما للدين كله ..

يأتى القرآن بعد أن بنت خطورة ما يقول ..

«ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله» ..

ما معنى هذا الكلام .. معناه امعان في التحدى .. فالقرآن هنا لا يقول لهم لقد هتك حاجز الماضي .. وأخبرتكم بأنباء الأولين .. ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان .. وأخبركم بما يدور في بقعة قريبة لا ترونها بل يقول : سأهتك حاجز النفس .. وأخبركم بما في أنفسكم .. بما في داخل صدوركم .. بما لم تهمس به شفاهكم .. وكان يكفى لكي يكذبوا محمدا أن يقولوا لم تحدثنا أنفسنا بهذا .. لو لم يقولوها بالفعل داخل أنفسهم لكان ذلك أكبر دليل لكي يكذبوا محمدا ويعلنووا أنه يقول كلاما غير صحيح .. إذن فالقرآن في هتكه لحجاب المكان .. دخل إلى داخل النفس البشرية .. وإلى داخل نفوس من .. إلى داخل نفوس غير المؤمنين الذين يهدمون هدم الإسلام .. وقال في كلام متعدد بتلاوته لن يتغير .. ولا يتبدل .. قال :

﴿ إِنَّ الْمُرْتَأَى إِلَى الَّذِينَ نَهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاهُونَ ﴾

القرآن منق حواجز الغيب

بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكُمْ حَيْوَكُمْ بِمَا لَهُ يُحِبِّكُمْ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يَعْذِبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلُوْنَهَا فَنِسْ أَمْصِيرُ ﴿١٠﴾

(سورة المجادلة)

قال ما يدور في أنفس غير المؤمنين .. فهل هناك أكثر من هذا تحديا لحجاب المكان .. إنه تحد فوق قدرة كل الاحتراعات البشرية التي وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان ..

يحلفون .. وهم كاذبون

بل ان التحدى ظهر فيما يحرص غير المؤمنين على اخفائه .. فالإنسان حين يحرص على اخفاء شيء .. ويكون غير مؤمن .. يأتى إليك فيحلف لك بأن هذا صحيح .. وهو غير صحيح في نفسه فقط .. ولكن حرصه على أن يخفيه على الناس يجعله يؤكد إنه صحيح بالحلف ..

ويأك الله سبحانه وتعالى فيجعل القرآن يمزق نفوس هؤلاء الناس .. ويظهر ما فيها امعانا في التحدى ويقول الله سبحانه وتعالى :

وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا نَخْرُجَنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

(من الآية ٤٢ سورة التوبة)

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْهُمْ﴾

الْقَوْمُ الْفَسِيْلَ

(سورة التوبه)

القرآن مزق حواجز الغيب

ويقول سبحانه وتعالى :
« ويحلفون على الكذب وهم يعلمون » . . .
ويقول الله سبحانه وتعالى امعانا في كشفه ما في نفوس أولئك الذين يكذبون
بهذا الدين . . .

« ولو نشاء لأربناكم فلمعرفتهم بسيماهم . . ولتعرفهم في لحن القول » . . .
وهكذا يأني الله سبحانه وتعالى ليقول للنبي عن المنافقين . . إنك تعرفهم في
لحن القول . أى أنهم يلحنون ويلوون ألسنتهم بالقرآن وهذا أمر اختياري . .
أى أنهم يستطيعون أن يفعلوه ويستطيعون أن يمتنعوا عن فعله . . والله عندما
ينزل هذه الآية يكون الفعل لم يتم . . أى أنهم يفاجأون بالأية قبل أن يقوموا بما
ينونون القيام به . . ومن هنا يكون لهم حرية الاختيار . .
ومع وجود حرية الاختيار . . فإنهم يأتون ليقوموا بما قاله الله في القرآن
الكريم دون أن يستطيعوا أن يتراجعوا عن ذلك . . بل أن الله سبحانه وتعالى
يدخل إلى نفوسهم ليخرج من الأسرار ما يخفيونه داخل صدورهم ولا يقولونه
لأحد . . فالسر نوعان :

- سر بياني وبينك أى لا يعلمه إلا أنا وأنت كصديقين أو حليفين .
- سر آخر أخفيه في صدرى ولا يعلمه أحد في هذه الدنيا . . ويأني الله سبحانه وتعالى إلى السر الذي أخفيه في صدرى ولا يعلمه أحد فيفضحه أو يعلنه وأنا في
هذه الحالة أملك كل وسائل التكذيب . . لأنه لا أحد يعرف هذا السر
غیرى . . ومع ذلك أقف مبهوتا من أن القرآن الكريم قد أظهر ما في نفسي . .
وما أخفيته . . فلا أستطيع أن أكذب . . مع انى جئت لأقول الكذب . . أى
أن المنافقين الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى جاءوا ليكذبوا . . ولكن عندما
فضح الله سرهم . . بهتوا فلم تستطع ألسنتهم أن تنطق بالكذب . . بل وأكثر
من ذلك قال الله سبحانه وتعالى أنهم سيقولون كذا . . وسيفعلون كذا . .
والسين هنا تدل على أن الفعل لم يتم . . ومع ذلك لم يستطع المنافقون أن يمنعوا
أنفسهم من أن يقولوا ما أعلن الله سبحانه وتعالى أنهم سيقولونه . . مع أن في
امتناعهم عن القول هدما لقضية الدين والإيمان . .

إذن فالقرآن هنا جاء لأناس غير مؤمنين . . وهتك حاجز النفس بالنسبة لهم
فأخرج ما في صدورهم وعراهم أمام الناس جميعا . . وفضح كذبهم . . ونشر

القرآن مزق حواجز الغيب



على الدنيا كلها ما في صدورهم من كذب ورياء ونفاق .. أى أنه اهانهم أمام المجتمع كله .. ولو كان هذا غير صحيح لقال هؤلاء القوم إننا لم نكذب .. إننا لصادقون .. والكلام الذي يدعى محمد أنه يأتي من عند الله كلام غير صحيح .. ولكن هؤلاء بهتوا من أن القرآن مزق حجاب نفوسهم فلم يستطيعوا ردًا .. وبهتوا لأن الله أخرج ما في صدورهم وعراهم أمام الناس جميعا .. فلم يفعلوا شيئاً أكثر من أنهم تواروا بعد أن افتضحت حقيقتهم .. ولو كان هذا القرآن من عند غير الله لما استطاع أن يصل إلى داخل النفس البشرية .. وهي من أدق أسرار الدنيا التي لم يستطع علم أن يصل إليها حتى الآن .. فإذا بالقرآن يأتي متحدياً بكلام متبعده به إلى يوم القيمة لا يستطيع أحد تبديل حرف فيه ليكشف ما في داخل النفس .. ويعرى ما تكتمه عن الناس جميعا .. وما هي حرية على كتمانه .. حتى أنها تحلف باسم الله كذباً ليصدقها الناس .. يأتي القرآن فيمزق هذا كله .. أتريد اعجازاً أكثر من ذلك ..

ومزق حجاب المستقبل

ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل .. كان لابد أن يكون الحديث عن المستقبل على عدة مراحل .. المرحلة المعاصرة لكي يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون وغير المؤمنين إنه الحق .. ومرحلة المستقبل البعيد لكي يعرف كل عصر من العصور التي ستأتي بعد نزول القرآن .. إن هذا هو كتاب الله الحق .. ومن هنا كان التحدي بالنسبة للمعاصرين لأحداث قريبة .. وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون كله .. هنا أحب أن أنبه إلى شيء هام جداً هو استخدام حرف السين في القرآن : فحرف السين كما نعرف في اللغة العربية لا يستخدم إلا بالنسبة لأحداث مستقبله .. والقرآن محفوظ ومتعبد به وبتلاؤته .. سيظل محفوظاً حتى يوم الساعة .. ومعنى ذلك أنه لا يمكن تبديله أو تغييره أو انكاره من أحد من المتعبدين به .. بل إنه سيظل يتلي هكذا كما أنزل .. إذن فأبناء القرآن بأحداث مستقبلة يسجل هذه الأحداث على قضية الإيمان نفسها ويطعن الدين في صميمه .. خصوصاً إذا تبين أن ما تنبأ به القرآن غير صحيح .. ومن هنا فلا بد أن يكون القرآن متأكداً من أن هذا سيحدث في المستقبل .. من من البشر يستطيع أن يتتأكد ماذا سيحدث له بعد ساعة

القرآن مرق حواجز الغيب

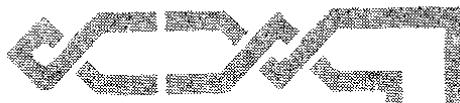
واحدة .. فما بالك بعد أيام وسنوات .. الجواب لا أحد .. ذلك أن قدرة البشر في صنع الأحداث محدودة .. فقد حجب عنهم الزمن .. وحجب عنهم المكان .. فلو قلت مثلاً إنني سأبني عمارة في هذه البقعة بعد عام .. أنا لا أضمن إنني سأعيش حتى الساعة القادمة .. وبذلك لا أستطيع أن أحكم إذا كنت سأكون موجوداً هناك أم لا .. هذه واحدة .. ثانياً قد تأتى الحكومة مثلاً وتبني مستشفى في هذا المكان .. أو قد يقام في هذا المكان سوق أو شارع .. إذن فأنا لا أستطيع أن أجزم في شيء مادي سيحدث بعد فترة زمنية محدودة .. ولكن الذي يستطيع أن يقول هذا يقيناً هو الذي يملك القدرة .. ومن هنا فإنه يستطيع أن يقول يقيناً أن هذا سيحدث بعد فترة من الزمن .. والذى يملك ذلك هو الله سبحانه وتعالى .. فإذا كان الحديث عما سيحدث بعد آلاف السنين .. فإن ذلك فوق طاقة البشر جائعاً .. ولقد أنبأ القرآن بما سيحدث بعد أعوام قليلة .. وبما سيحدث بعد آلاف السنين .. فالذى قال هذا هو القادر العالم بأن ذلك سيحدث يقيناً وهو الله سبحانه وتعالى .. انظر إلى قوله سبحانه وتعالى :

«سيهزم الجموع ويولون الدبر» ..

لقد نزلت سورة القمر هذه في مكة .. والمسلمون قلة .. وأذلة .. حتى أن عمر بن الخطاب قال : أي جمع هذا الذي سيهزم ونحن لا نستطيع أن نحمي أنفسنا .. وهكذا يتربأ القرآن بأن الإسلام سينتصر .. في مكة .. وإن هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة الإسلام في مكة سيهزمون ويولون الأدبار .. ويترتبأ بها متى .. والمسلمون قلة .. وأذلة .. لا يستطيعون حماية أنفسهم .. ويطلقها قضية .. هو على يقين من أن الله الذي قالها سيحققها .. وبعد ذلك نجد عجباً .. الوليد بن المغيرة العدو الأول للإسلام .. والمشهور بكبريائه ومكابرته وعناده .. يأكِّن القرآن ويقول : هذا الإنسان المكابر العنيد ..

«سنسمه على الخرطوم» ..

أي إنه سيقتل بضربة على أنفه .. ويحدد موقع الضربة .. وبعد ذلك يأكِّن في بدر فتراه قد وسم على خرطومه .. أي ضرب على أنفه .. من الذي يستطيع أن يحدد موقع الضربة ومكانها .. من الذي يستطيع أن يجزم .. ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة ..



التحدي .. لأعداء الله

نأى بعد ذلك إلى آية أخرى .. الرسول عليه الصلاة والسلام يأى فِي قرآن ..

﴿ تَبَّتْ يَدَآءِي لَهَبٍ وَتَبَّ (٢٣) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَا لَهُ، وَمَا كَسَبَ (٢٤) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٢٥) وَأَمْرَأُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ (٢٦) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٢٧) ﴾

(سورة المسد)

هذا قرآن .. وفي من .. في عم الرسول .. وفي من .. في عدو الإسلام .. ألم يكن أبو لهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية ؟ ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن ؟ ضد هذا الدين .. قالت له الآية يا أبي لهب أنت ستموت كافرا .. ستموت مشركا .. وستذوب في النار .. وكان يكفى أن يذهب أبو لهب إلى أي جماعة من المسلمين .. ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .. يقولها نفaca .. ويقولها رباء .. يقولها ليهدم بها الإسلام .. لا ليدخل في الإسلام .. يقولها ثم يقف وسط القوم يقول : إن محمدا قد أنبأكم أنني سأموت كافرا .. وقال إن هذا كلام مبلغ له من الله .. وأنا أعلن إسلامي لأثبت لكم أن محمدا كاذب .. لو كان أبو لهب يملأ ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا .. ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبي لهب على الوصول إليه .. بل بقى كافرا مشركا .. مات وهو كافر .. ولم يكن التنبؤ بأن أبي لهب سيموت كافرا .. أمراً عمنا .. لأن كثيراً من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب .. وغيرهم .. كانوا مشركين وأسلموا .. فكيف أمكن التنبؤ بأن أبي لهب بالذات لن يسلم ولو نفaca .. وسيموت وهو كافر .. المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو .. وتحداه في أمر اختياري .. كان من الممكن أن يقوله .. ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث .. لماذا .. لأن الذي قال هذا القرآن .. يعلم إنه لن يأى إلى عقل أبي لهب تفكير يكذب به القرآن .. هل هناك اعجاز أكثر من هذا ؟

القرآن منق حواجز الغيب

وتحدى .. لغير العرب

انتقل بعد ذلك إلى النقطة الثانية .. وهى ماذا حمل القرآن لغير العرب في عصره .. ولغير العرب والدنيا كلها بعد عصره ..؟ أى ماذا حمل القرآن من أنباء نواميس الله في الأرض وقوانينه .. التي كانت غيابا على البشرية كلها في عصره وبعد عصره ..؟ هنا الأمثلة كثيرة .. والمجال لا يتسع لها كلها .. ولكنني سأحاول أن أبين عددا منها فيما يختص بالاعجاز في عصر القرآن لغير العرب .. فقد كانت هناك أمتان كبريتان امبراطوريتان بجانب الجزيرة العربية .. هما الروم والفرس .. الروم أمة مؤمنة .. أهل كتاب .. ولو أنهم لا يصدقون برسالة محمد إلا أن هناك عندهم إيمانا بوجود الله .. والقيم السماوية .. والفرس كانوا أهل كفر وإلحاد في ذلك الوقت .. لا يؤمنون بأى دين من الأديان .. إذن فأيهما أقرب إلى قلب المؤمنين .. الروم باعتبارهم أهل كتاب .. وأيهما أقرب إلى قلب الملحدين والكافر .. الفرس باعتبارهم مشركين وكفرا .. قامت الحرب بين الدولتين .. فهزم الروم وانتصر الفرس .. وهنا فرح المشركون لأن الكفر قد انتصر .. وحزن المؤمنون لأن نوعا من الإيمان قد انهزم .. هنا يتدخل الله سبحانه وتعالى ليزيل عن المؤمنين هذا الحزن .. فيقول في كلام محفوظ متبعد بتلاوته لن يجرؤ ولن يستطيع أحد أن يغير فيه .. يقول :

اللَّهُمَّ غُلِبَتِ الرُّومُ لَا
فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَقْلِبُونَ فِي بَضَعِ سِنِينَ اللَّهُ أَكْأَمُ
إِيمَانَهُمْ فِي أَنْتَ لَهُ أَكْمَلُ إِيمَانَهُمْ
يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ لَا
يُنَصِّرُ اللَّهُ يُنَصِّرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
الْأَرْحَمُ

(سورة الروم)

ثم يمضي القرآن ليمنعن في التحدى ..

القرآن مرق حواجز الغيب

.. ما هذا ..؟ أ يستطيع محمد صلى الله عليه وسلم أن يتمناً بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين .. هل يستطيع قائد أن يتمناً بمصير معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها ..؟ فما بالك أن ذلك يأتى ويقول أنه بعد بضع سنين ستحدث معركة بين الفرس والروم ويستنصر فيها الروم .. هل أمن محمد صلى الله عليه وسلم على نفسه على أن يعيش بضع سنين ليشهد على صحة ما جاء به القرآن .. إذن فقد أصبحت قضية إيمانية كبرى .. هذا هو القرآن .. كلام الله .. وأساس الإيمان كله .. يأتى ويخبر بحقيقة أرضية قريبة ستحدث لغير العرب .. ويقول الكفار أن القرآن كاذب .. ويقول المؤمنون أن هذا صدق .. ويحدث رهان بين الاثنين ..

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه لم تحدث معركة بين الروم والفرس .. أو لو أنه حدثت معركة وهزم فيها الروم أكان بعد ذلك يصدق أى إنسان القرآن أو يؤمن بالدين الجديد .. ثم إذا كان القرآن من عند محمد فيما الذى يجعله يدخل في قضية غريبة كهذه .. لم يطلب منه أحد الدخول فيها .. أى ضيع الدين من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد .. ولم يتحده فيها إنسان .. ولكن القائل هو الله .. والفاعل هو الله .. ومن هنا كان هذا الأمر الذى نزل في القرآن يقيناً سيحدث .. لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان وحجاب المكان .. ولا أى حجاب وهو الذى يقول ما يفعل .. ومن هنا حدثت الحرب .. وانتصر الروم على الفرس فعلاً كما تنبأ القرآن ..

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين في وقت نزوله .. أى أنه لم يتحد العرب وحدهم .. بل تحدى الكفار والمؤمنين من غير العرب .. بأن أنبأهم بما سيحدث لهم قبل أن يحدث بسبعين أو ثمانين سنوات .. تحداهم بهذا عليهم يؤمنون ..

إذا انتهينا إلى هذا نكون قد أثبتنا أن القرآن تحدى العرب وغير العرب في وقت نزوله .. ولكننا قلنا أن القرآن ليس له زمان .. وليس له مكان .. وأنه سيظل حتى قيام الساعة .. فكيف يمكن أن يتحدى الأجيال القادمة؟ .. لا بد أن يكون للقرآن معجزة دائمة .. أن يعطى عطاء لكل جيل لم يعطه للأجيال السابقة ..

وقد كان .. جاء في القرآن أشياء لو أن أحداً أخبر بها وقت نزولها لأتهم

القرآن منق حواجز الغيب

الذين قالوها بالجحون .. ولكنها جاءت للعصور القادمة .. جاءت لتحدى عبر الأجيال إلى يومنا .. وإلى الأيام القادمة ..

القرآن حدثنا .. عن المضلين

ان ظهور قانون الصدفة .. ونظيرية داروين .. وأن المادة خلقت قبل الروح .. وكل ما نسمعه اليوم من تشكيك في الإيمان وفي وجود الله سبحانه وتعالى .. قد سجله القرآن .. وأنبأنا به .. وقال أن المضلين سيأتون ليقولوا لكم أكاذيب عن خلق السموات والأرض .. وعن قضية خلق الإنسان .. وإذا لم يكن الحديث عن الأجنة في القرآن .. عن يقين كامل .. لكان القرآن قد أعطى معه وسيلة هدمه .. ذلك أن هذا الكتاب سيستمر إلى يوم القيمة .. فإذا جاء العلم عبر ألف السنين .. وأثبت عدم صحة ما ذكره القرآن .. ضاعت قضية الإيمان كله .. ولكن القائل هو الله والفاعل هو الله ..

إن إعجاز القرآن لم يتوقف .. ولن يتوقف .. وإذا كان القرآن قد تحدى الكفار في عصر نزوله بأن أنبياً لهم بما يدور داخل صدورهم .. وأنبياء بمصائرهم .. فإنه يتحدى الكفار حتى في هذا الزمان .. في هذا الوقت الذي نعيش فيه .. بل ويستخدمهم .. في ماذا ..؟ في إثبات قضية الإيمان .. تماماً كما استخدمهم وقت نزوله في إثبات قضية الإيمان .. إن هدف الكفار والمضلين عن سبيل الله هو إنكار هذا الدين وإنكار وجود الله .. ولكن القرآن جاء .. وبعد أربعة عشر قرناً ليستخدمنا الكفار في إثبات أن دين الله حق .. وأن هذا الكتاب هو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .. وهذا هو موضوعنا .. عندما يقول الله سبحانه وتعالى :

«ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

ويقول :

«يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» .. يكون قد أعطاني أن الإنسان يعلم ظاهراً عن الحياة في هذه الدنيا ولكنه غافل عن أمر الآخرة .. أي أن مدى علم الإنسان .. هو الحياة الدنيا .. وأن العلم نوعان .. نوع مطروح لك لا يجاد نشاطك فيه كما تريده .. وبلا قيود ..

القرآن مزق حواجز الغريب

ولا حدود .. نوع ليس لك الحرية في البحث فيه لأنك لا تعلم .. وهذا النوع افعل كذا .. ولا تفعل كذا .. تقرب إلى بكترا .. واترك كذا .. هذه ليست اجتهاداتك أنت .. لأن المعبد هو الذي يقترح على العابد ما يعظمه به .. والنقاش في شيء يجب أن يتم بين عقول متساوية أو متقاربة في القدرة .. ومن منا يملك عقلاً يقترب من قدرة الله تعالى .. لا أحد إذن .. فنحن نأخذ افعل ولا تفعل عن الله .. وما شرحته لنا السنة .. أما نشاطات الحياة الأخرى .. آيات الله في الكون .. فالمطلوب أن أبحث فيها وأتأمل .. أصل إلى حقائق انتفع بها .. فإذا أردنا أن نحدد هذه الموضوعات .. نجدها في القرآن .. في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبََّنَا اللَّهََ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا هُوَ بِهِ فَانْخَرَجَنَّا بِهِ ثُمَّرَاتٌ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجَبَالِ جُدُدٌ بِيَضٍ وَحُمُرٌ مُّخْتَلِفُ الْأَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴾^{٢٧} وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَمِ مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ﴾

(سورة فاطر)

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى تكلم عن الجماد .. وتتكلم عن النبات .. وتتكلم عن الحيوان والإنسان .. ثم يقول الله سبحانه وتعالى : «إِنَّمَا يَخْشِيُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ» .. العلماء في ماذا ؟ فيما يتعلق بخلق الله من الجماد والحيوان والنبات والإنسان .. ولذلك ذكر الله سبحانه وتعالى المتناقضات الموجودة في النوع الواحد .. لو أنه جنس واحد لما وجد فيه متناقضات .. إنما قوله تعالى : «ثُمَّرَاتٌ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا» ..

كان يجب أن نلتفت إليها .. ولماذا اختلفت ألوانها .. وما هي العلاقة بين الألوان والطبيعة .. مثلاً حينما يتغذى النبات وجد من الدراسة إنه يتغذى

القرآن مزق حواجز الغريب

بوساطة خاصية الأنابيب الشعرية . . وهنا نقف قليلا . . هل هذه الأنابيب الشعرية تميز . . هل تستطيع التمييز . . إذا جئنا بحوض . . ووضعنا فيه سائلا مذابا فيه أصناف مختلفة . . ثم جئنا بالأنابيب الشعرية . . نجد أن الماء قد صعد في مستوى أعلى من مستوى الاناء . . ولكن هل كل أنبوبة ميزة عنصرا أخذته . . أم أن كل أنبوبة أخذت من جميع العناصر وهي مذابة . . لكن النبات ليس هكذا . . إنني أزرع الحنظل . . بجانب القصب . . فيخرج هذا حلوا . . وهذا مرا . . هذا يأخذ عناصره . . وهذا يأخذ عناصره من نفس التربة . . إذن هناك اختيار . . ومن هنا ظهر ما سمي بخاصية الانتخاب . . الانتخاب معناه الاختيار بين بدائلات . . أي أنك ترك هذا وتأخذ هذا . . ولذلك قال الله سبحانه وتعالى :

«يسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل»
لكن خاصية الأنابيب الشعرية تتعامل مع السائل كله . . بلا تميز . . ومن هنا نعرف أن الخاصية شيء . . و اختيار النبات للعناصر الغذائية التي يريدها أو يحتاجها شيء آخر . .

نأتي بعد ذلك للجهاد . . يقول الله سبحانه وتعالى :
«ومن الجبال جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرائب سود» . .
هذا علم الجماد . . وهو علم تحويه الآن مجلدات . . ثم بعد ذلك الإنسان . . أجناس الوجود كلها . . ثم بعد ذلك قال الله :
«إما يخشى الله من عباده العلماء»

العلماء في ماذا؟ بهذه كلها . . إذن الكلمة العلماء أطلقت على من يتذكر في خلق الله . . سواء كان جمادا أو حيوانا أو نباتا . . والذهن النشط يستطيع أن يصل إلى هذه العلوم الأرضية باللحظة والتجربة . . والدليل على ذلك إذا استعرضت تاريخ أي مخترع من المخترعات في الكون التي أراحت الناس . . تجد إنها نتيجة لإنسان قد لاحظ بدقة . . ولم تمر عليه المسألة كباقي الناس . . والعلم مكانه المعمل واللحظة والتجربة . .

حينها تتجاوز . . بلا دليل
ولكننا أحيانا تتجاوز موضوع العلم . . وموضوع التجربة والمعلم . . وذلك

القرآن منق حواجز الغيب

عندما أقول مثلاً الروح قبل المادة .. أو المادة قبل الروح .. فهذا بحث في عنصرى تكوين الإنسان الذى لم نشهد خلقه .. ولا نستطيع أن نجرى عليه تجربة .. إن هذا في علم الله .. فهو الذى خلق .. وهو الذى يستطيع أن يقول لنا كيف تم الخلق .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« ما أشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم » ..

إذن فهذه مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشري إلى نتيجة .. لماذا ؟ لأننا لم نحضر التجربة .. ولم نرها بالعين .. ولا نستطيع أن نجريها أو نقوم بها .. ولكن بالأذن سمعنا عن الله .. وهذا أمر غيبى عنا .. ومادام الأمر غيبياً عنا .. فإن الله الذى خلقنى هو الذى يحدثنى .. كيف خلقت .. أما أنا فإني لا أعرف كيف خلقت .. ومن هنا فإني لا يمكن أن أتحدث علمياً عن العنصرين اللذين يتكون منها الإنسان .. وأيهما جاء أولاً .. وإذا صمم أحد على أن يبحث في هذا .. يكون قد شغل نفسه بعلم لا ينفعه عن جهل لا يضره .. لأنه لن يستطيع أن يدلل على ما يقول علمياً .. وبالتجربة أنا أستطيع أن أمسك المادة وأدخلها المعمل .. ولكنى لا أستطيع أن أمسك بالروح وأدخلها إلى المعمل ..

والعلم يجب أن يتم على مادة صماء .. يمكن أن تدخل المعمل الأصم .. وتعطى حقائق صماء .. أليست هذه هي الحقيقة .. والدليل على ذلك أن المسئكلات المتصارعة لا تختلف في مذاهب العلم .. ولكنها تختلف في مذاهب الهوى والنظريات .. لا توجد هناك كهرباء أمريكية .. وكهرباء روسية .. ولا توجد كيمياء ألمانية ، ولا كيمياء إنجليزية .. وكل علم الكيمياء .. في أي دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء التي لا هوی لها .. وبهذا تكون التبيجة واحدة .. سواء كان المعمل إنجليزياً أو أمريكياً .. أو سوفيتياً .. أو أي معمل من معامل الدنيا .

ولكن الخلاف يحدث عندما تتدخل مذاهب الهوى والنظريات .. فإذا جئنا إلى مذاهب الهوى .. هو النفس .. نجد أنها متناقضة .. ليست مختلفة .. ولكنها متناقضة .. هذا على النقيض من ذلك .. رأسمالية وشيوعية .. إيمان والحاد .. وانكار للدينات لماذا ؟ لأن هو النفس دخل هنا فأفسد القضية العلمية وأضع حقيقتها ..

القرآن مرقق حواجز الغيب

الكافار . . أثبتو القرآن

إذا أخذنا خلق الإنسان مثلاً . . فإننا نأخذ هذا الخلق عن الله . . الذي خلق . . ماذا قال الله سبحانه وتعالى قال خلقتك من تراب . . وقال من طين . . وقال من حماً مسنون . . وقال من صلصال كالفحار . . هذه ليست تناقضات في الخلق . . أو تناقضات في مادة الخلق نفسها . . وهي التراب . . بل أن الله سبحانه وتعالى يبين لنا أطوار هذه المادة من التراب إلى العجين إلى الحماً إلى الصلصال . . إنها المراحل التي مر بها خلق الجسد البشري من تراب إلى ما قبل نفخ الروح فيه .

﴿مَا أَشَدَّ تَهْمَمُهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾

﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْدًا﴾

(سورة الكهف)

ما معنى كلمة مضل .. كلمة مضل تعطى أن هناك قضية حق وأن هناك إنساناً يريد أن يضلني ويعطيني عكس القضية .. أى يعطيني غير الحقيقة وهو الضلال .. هذا هو معنى مضل .. إذن قول الله :

«وما كنت متخد المضللين عضدا» ..

أى أنني في ساعة الخلق لم أطلب العون أو المساعدة أو المشورة .. أو النصيحة .. من هؤلاء المضللين .. وإلا لو كان حدث ذلك .. ثم جاءوكم يخبرونكم كيف تم خلق السماوات والأرض .. وكيف خلقتكم أنتم .. لكان لكم العذر في تصديقهم .. ولكن ماداموا لم يشهدوا الخلق .. ولم أطلب معونتهم .. فإن ما سيقولونه لكم غير واقع .. غير صحيح .. أنه اضلال .. وهذه معجزة من معجزات القرآن .. فقد قال لنا الله .. أنه سيكون هناك مضللون .. وإن هؤلاء المضللين سيحاولون أن يقولوا لكم غير الحق في قضية خلق السماوات والأرض .. وفي قضية خلق الإنسان .. فلا تصدقونهم لأنني لم أستعن بهم ساعة الخلق .. ولم يكونوا موجودين .. إذن لو لم يحدث أن جاء أناس يضللون عن سبيل الله .. لقلنا أن القرآن غير صحيح .. لأنه أين المضللون؟ ولو وجد المضللون وتناولوا قضية أخرى غير خلق السماوات والأرض .. وخلق الإنسان لقلنا

القرآن منق حواجز الغيب

إن القرآن غير صحيح .. لأنه لا يوجد من يصل عن سبيل الله ولكن لا يتناول فيما يقوله قضية خلق السماوات والأرض .. ولا قضية خلق الإنسان .. ولكن كون المسلمين جاءوا وكونهم تحدثوا عن قضية خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم .. وهل المادة قبل الروح .. أم الروح قبل المادة .. وقانون الصدفة ونظرية داروين إلى آخر هذا الكلام .. كون هؤلاء جاءوا .. وكونهم تناولوا قضية خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان فهذا اثبات لما جاء في القرآن عنهم .. وكان هؤلاء المسلمين الذين جاءوا ليصدوا عن سبيل الله .. إنما قدموا خدمة كبيرة للدعوة الإسلامية وللقرآن .. بأنهم أثبتوا بغيرهم صحة القرآن وصحة آياته .. أترى اعجازاً أكثر من ذلك .. يستخدم الله الكفار الذين يضللون عن سبيله .. ويحاولون تكذيب القرآن .. يستخدمهم الله سبحانه وتعالى ليقوموا لهم لا يدرؤون باثباتات صحة الدين الذي يحاولون أن يهدموه وباثباتات وجود الله سبحانه وتعالى .. وهم يريدون أن ينكروه .. فيقول في قرآن نزل منذ أربعة عشر قرناً .. أن هناك من سيأتي ليضل عن سبيل الله .. ويستخدم من قضية خلق السماوات والأرض والإنسان مادة لهذا الأضلال وكل ما سيقولونه هو غير الواقع .. وأنا أتفى من الآن ما سيقولونه بعد مئات .. أو ألف السنين .. وأقول لكم أنه غير صحيح .. إذن فكون هؤلاء المسلمين جاءوا اثباتاً للقرآن .. وكون أنهم قالوا غير الحق ولم يستطيعوا أن يدللوا عليه علمياً .. وأخذوا يطلقون نظرياتهم .. كل نظرية تهدم الأخرى .. وهم يجتهدون في محاولة هدم منهج الله .. ونحن نقول لهم انكم تشتبهون .. لأن الله أخبرنا عنكم في القرآن منذ أربعة عشر قرناً .. وقال انكم ستأتون وستفعلون كذا وكذا في محاولة لتضليل الناس .. وهدم القرآن .. أترى الاعجاز في استخدام الكفار لتشويش قضية الإيمان في الكون ..

خلق الإنسان

إذن فخالق الإنسان هو الله .. وخالق السماوات والأرض هو الله .. وهذا أمر غبي نأخذ عنه من خلق .. إلا أن الحق سبحانه وتعالى حين يعرض قضية غبية .. فإنه ينير طريق العقل ذاتها بقضية نحسها ونشهد لها .. تقرب القضية الغبية التي يتحدث عنها .. فالله خلقني من تراب .. من طين .. من حما

القرآن مرق حواجز الغيب

مسنون .. من صلصال كالفخار .. ثم تفخ من روحه .. إذا أخذنا التراب .. ثم نضيف إليه الماء فيصبح طينا .. ثم يترك لتفاعل عناصره فيصبح حماً مسنونا .. كالذى يستخدمه البشر في صناعاتهم .. ثم يجفف فيصبح صلصالا .. هذه أطوار خلق الجسد البشري .. والبشر .. والخلق من الطين .. من الأرض ..

إذا جئنا للواقع .. فلنسأل أنفسنا .. الإنسان مقومات حياته من أين .. من الأرض .. من الطين .. هذه القشرة الأرضية الخصبة هي التي تعطى كل مقومات الحياة التي أعيشها .. إذن فالذى ينمى المادة التي خلقت منها هو من نفس نوع هذه المادة .. وهى الطين .. ولقد حلل العلماء جسد الإنسان فوجدوه مكونا من ١٦ عنصرا .. أولها الأكسجين .. وآخرها المنيز .. والقشرة الأرضية الخصبة مكونة من نفس العناصر .. إذن فعنابر الطين الخصب هي نفس عناصر الجسم البشري الذى خلق منه .. هذا أول اعجاز .. وهذه تجربة معملية لم يكن هدفها إثبات صحة القرآن أو عدم صحته .. ولكنها كانت بحثا من أجل العلم الأرضي ..

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى من الموت دليلا على قضية الخلق .. فالموت نقض للحياة .. أى أن الحياة موجودة .. وأنا أنقضها بالموت .. ونقض كل شيء يأتى على عكس بنائه .. فإذا أردنا أن نبني عمارة نبدأ بالدور الأول .. وإذا أردنا أن نهدمها نبدأ بالدور الأخير .. إذا وصلت إلى مكان وأردت أن أعود .. أبداً من آخر نقطة وصلت إليها أنها تمثل أول خطوة في العودة .. ونحن لم نعلم عن خلق الحياة شيئا .. لأننا لم نكن موجودين ساعة الخلق .. ولكننا نشهد الموت كل يوم .. والموت نقض للحياة .. إذن هو يحدث على عكسها .. أول شيء يحدث في الإنسان عند الموت .. إن الروح تخرج .. وهى آخر ما دخل فيه .. أول شيء خروج الروح .. إذن آخر شيء دخل في الجسم هو الروح .. ثم تبدأ مراحل عكس عملية الخلق .. يتصلب الجسد .. هذا هو الصلصال .. ثم يتغير فيصبح رمة .. هذا هو الحماً المسنون .. ثم يتغير الماء من الجسد ويصبح الطين ترابا .. ويعود إلى الأرض .. إذن مراحل الافتاء التي أراها وأشهدها كل يوم هي عكس مراحل الخلق .. فهناك الصدق في مادة الخلق .. والصدق في كيفية الخلق .. كما هو واضح أمامى من قضية نقض

القرآن منق حواجز الغيب

الحياة .. وهو الموت ..

شيء آخر يقول الله سبحانه وتعالى :

«ونفخت فيه من روحه» ..

ومعنى النفح أي النفس .. أي أن هناك نفسا خرج من النافخ إلى المنفوخ فيه .. فبدأت الحياة .. وبماذا تنتهي الحياة بخروج هذا النفس .. فأنت إذا شككت في أن أي إنسان قد فارق الحياة .. يكفي أن يقال لك انه لا يتفس .. ليتأكد يقينا أنه مات .. إذن دخول الحياة إلى الجسد هو دخول هذا النفس .. مصداقا لقوله تعالى :

«ونفخت فيه من روحه»

وخرجها هو خروج هذا النفس ..

والإنسان .. في بطن أمه

فالمسألة يقينا كما قال الله .. وإذا كنا نريد اعجازا أكثر .. فلتلتفت ماذا قال القرآن في علم الأجنة .. علم تكوين الجنين في بطن أمه وقد تناولت هذه المسألة في فصل سابق .. ولكنني أعود فأقول .. هل تناول أحد هذه المسألة قبل القرآن أو عصر القرآن .. أو بعده بفترة .. أبدا .. أول من تحدث عنها هو القرآن .. وأعطاني ما هو غائب عنى .. لأن خلقه هو غيب .. فكون الله سبحانه وتعالى يأق في قرآن ويعطيني مراحل تكوين الجنين .. فهذه آية من آيات عظمته وقدرته وعلمه .. يقول الله في أطوار الجنين :

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (١٠٢) ثُمَّ خَلَقْنَا الْنُّطْفَةَ عَلَقَةً

﴿خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً نَخْلَقُنَا الْمُضْغَةَ عِظَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ

لَحْمًا﴾ (١٠٣)

(سورة المؤمنون)

علم الأجنة ما عرفه الناس إلا حديثا .. والقرآن كما قلت كلام متعدد بتلاوته .. لا تبديل فيه ولا تغير .. أي أن القضية التي يذكرها ستبقى كما هي

القرآن مرق حواجز الغيب

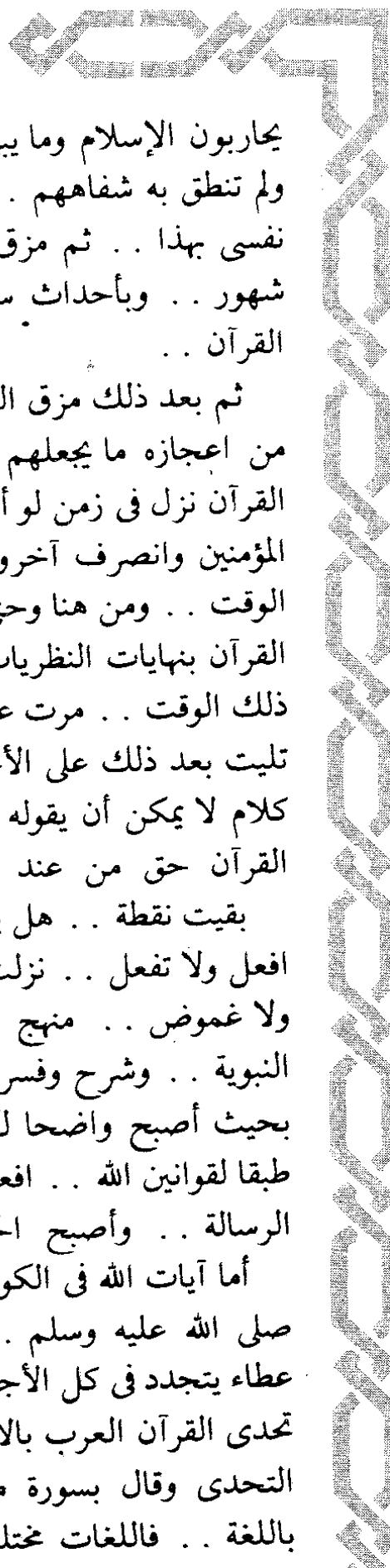
إلى آخر الدنيا .. فعندما يأكِّن القرآن ويُخْبِرُ بِهذا فَكَانَه يتحدى العلم والعلماء .. إلى يوم القيمة .. يقول لهم هذا هو تكوين الجنين في بطن أمه .. وأنا أذكره لكم وأذكر مراحله بتفصيل لم يشهده أحد من البشر حتى ساعة نزول هذا القرآن .. ولا حتى بعده نزوله بثنتين السنين .. ولكنني أسجله لتعلموا عندما أعطيكم من العلم ما تستطعون به معرفة أطوار الجنين .. لتعلموا أن القائل هو الخالق .. لأنَّه لا يمكن لأحد أن يقول هذا الكلام .. وأن يتحدى بصحته على مر العصور .. وأن يخترق الحجب ليروي شيئاً لم تكن البشرية تعرفه أو تعلم به .. إلا أن يكون ذلك هو الله .. وإنَّا فكيف يؤمن أي إنسان .. أي بشر مهما بلغ من العلم .. كيف يؤمن أنه بعد عشرات السنين .. أو مئات السنين .. لن يأكِّن من ينافق هذا الحديث .. وما يثبت عدم صحته ..

فإذا لم يكن الحديث هنا عن الله .. وإذا لم يكن عن يقين كامل .. فـكـان القرآن قد أعطى وسيلة هدمه .. كان يكفي أن يقول إنسان أن القرآن يقول هذا عن أطوار الجنين .. وقد أثبت التقدم العلمي أنه غير صحيح .. كان يكفي أن يقال هذا ليهدم قضية الدين من أساسه .. ويكون القرآن قد أعطى للكافر أقوى سلاح يهدمونه به .. فالذى كشف علم الأجيال متأكد تماماً أن ما يقوله هو الحق .. وأن تطور العلم مهما جاء فإنه لن يأكِّن لمن ينافق هذا الكلام .. ولقد أثبتت أحدث البحوث عن الجنين .. صحة ما ذكره القرآن منذ أربعة عشر قرناً .. ولم تختلف عنه .. في أي تفصيل من التفصيلات .. رغم أن هذا كان أمراً غبياً .. وأمراً لم يتحدث عنه أي إنسان قبل أن يأكِّن القرآن .. ومع ذلك فقد ذكره القرآن بالتفصيل .. وحدد أطواره وجاء العلم بعد ذلك ليثبت هذه الحقيقة .. إذن فلا بد أن قائل القرآن هو الله .. لأنَّ الذي يعلم يقيناً هو الله وحده ..

والمعجزة .. مستمرة

إذن فالقرآن عندما نزل كان له أكثر من معجزة .. تحدي العرب في بلاغتهم .. ثم مرق حواجز الغيب الثلاثة .. مرق حجاب الزمن الماضي .. وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم .. وتحدى فيها .. ثم مرق حجاب المكان وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار والذين

القرآن مرق حواجز الغيب



يحاربون الإسلام وما يبيتونه للمسلمين .. روى لنا ما يدور داخل نفوسهم .. ولم تنطق به شفاههم .. ولم يجرؤ واحد منهم أن يكذب القرآن ويقول لم تهمس نفسي بهذا .. ثم مرق حجاب المستقبل القريب .. وتنبأ بأحداث ستقع بعد شهور .. وأحداث ستقع بعد سنوات .. وتحدى .. وحدث كل ما أنبأ به القرآن ..

ثم بعد ذلك مرق القرآن حجاب المستقبل البعيد .. ليعطي الأجيال القادمة من اعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله .. ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلة جاءت تفصيلية لکفر عدد من المؤمنين وانصرف آخرون .. ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت .. ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن إيمانه .. ويستمر الاعجاز .. جاء القرآن بنهايات النظريات .. بقمة نواميس الكون .. إذا تليت على المؤمنين في ذلك الوقت .. مرت عليهم .. ولم يتبعوا إلى مدلوها الحقيقى العلمى .. وإذا تليت بعد ذلك على الأجيال القادمة عرفوا ما فيها من اعجاز .. وقالوا إن هذا كلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذآلاف السنين .. إذن فلا بد أن هذا القرآن حق من عند الله .. وأن قائله هو الله الخالق ..

بقيت نقطة .. هل يأق هذا في الأحكام ؟ الجواب : لا .. أن أحكام الدين أفعل ولا تفعل .. نزلت كاملة واضحة لا لبس فيها ولا اضافة عليها ولا تبدل ولا غموض .. منهج الله كامل .. فسرته الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية .. وشرح وفسر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيرا كاملا .. بحيث أصبح واضحا لكل إنسان يريد أن يعبد الله .. وأن يعيش في الأرض طبقا لقوانين الله .. أفعل ولا تفعل .. جاءت واضحة وكملت وفسرت في عهد الرسالة .. وأصبح الحلال بينا .. والحرام بينا .. والدين بينا ..

أما آيات الله في الكون .. فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيرا كاملا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .. حتى لا تكون ملزمة للمسلمين .. لماذا ؟ لأن لهذا عطاء يتجدد في كل الأجيال .. وهذه الآيات هي التي تحدثنا عن بعضها .. لقد تحدى القرآن العرب بالاعجاز في اللغة .. طلب أن يأتوا بمثل القرآن ثم زاد في التحدي وقال بسورة من مثله .. ولكن التحدي للعالم لا يمكن أن يكون باللغة .. فاللغات مختلفة .. إذن بماذا تحداهم .. بالعلم .. وكان التحدي

القرآن مرق حواجز الغيب

مطلقا إلى يوم الدين .. قال أنتم جميعا لن تستطيعوا أن تخلقوا شيئا .. حتى نهاية العالم .. ثم تخداتهم بخلق ماذا .. بخلق كون كالذى خلقه ..؟ لا .. بخلق مجموعة شمسية من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة في الكون ..؟ لا .. بخلق شمس أو قمر أو نجم ..؟ لا .. إذن تخداتهم بخلق الكرة الأرضية مثلا ..؟ أبدا .. لابد أنه تخداتهم بخلق الإنسان .. أبدا .. لقد تخداتهم أن يخلقوا ذبابا ففى سورة الحج قال تعالى :

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا إِلَهٌ - إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا هُوَ - وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الظَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنِدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الْطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبُ ﴾^(٢٧)

(سورة الحج)

وهكذا تحدى الله البشرية كلها إلى يوم القيمة بأن يخلقوا ذبابة .. وقال أن العلم الذى ستعبدونه من دون الله والذى ستؤمنون به .. هذا العلم وكل القائمين عليه لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا ..

«إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا له» ..

ثم قال الله سبحانه وتعالى :

«ضعف الطالب والمطلوب» ..

وأضاف :

«ما قدروا الله حق قدره» ..

والعجب أن الإنسان قد وصل إلى القمر .. وقد يصل إلى المريخ .. وقد يستكشف أبعد من ذلك .. ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن .. وهو طلب ضعيف جدا بالنسبة لقدرة الله سبحانه وتعالى في خلق ملايين الكائنات .. ولذلك قال الله :

«ضعف الطالب والمطلوب» ..

ثم أضاف سبحانه وتعالى :

القرآن مزق حواجز الغيب

«ما قدروا الله حق قدره» ..

أى أن قدرة الله سبحانه وتعالى تفوق كل الحدود والتصورات التي قد ترد على خواطركم .. وأنتم لا تعرفون قدرة الله .. ثم تحدى الله بعد ذلك في قرآن «تحدى باستمرار الحياة .. الماء الذي خلق منه كل شيء حي .. قال الله تعالى : «أَفَرَأَيْتَ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرُبُونَ .. أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَرْأَةِ أَمْ نَحْنُ مُنْزَلُونَ» ..

وقال تعالى :

«يَنْزَلُ الْغَيْثُ» ..

أى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرسل إليكم الأمطار والماء يأتي مدراراً ليسقى الدنيا كلها .. البشر والطيور .. والوحش ، والزرع وكل شيء حي .. هذا الماء الذي تعب منه البشرية كلها عبا .. تجد الإنسان عاجزاً عن أن يصنع نهراً مع أن عناصر تكوين الماء موجودة في الكون .. أمام العلماء .. والمساحات الشاسعة من الصحراء في الأرض تحتاج إلى قطرة ماء .. ثم تحدي الله سبحانه وتعالى بعد ذلك .. تحداانا بأن نهرب من الموت .. قال : «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كتم في بروج مشيدة» ..

.. أى أن الله سبحانه وتعالى يتحدى فمهما وصلتم إلى العلم .. فلن تستطعوا أن تنجو من الموت .. انكم تقولون في العلم الأرضي أن الموت يحدث بسبب جرائم كما .. وأمراض كما إلى آخره .. حسنا .. شيدوا برجاً وضعوا فيه إنسانا .. وأبعدوه عن كل المخاطر التي في رأيكم وفي نظركم .. وفي علمكم .. تسبب الموت .. فلا هو يحارب ولا يعيش في أي مكان ليصاب في حادث .. فلا يستنشق هواء ملوثاً بل يستنشق هواء نقياً .. ويأكل من طعام مطهر على أحدث الوسائل الصحية .. ويشرب من ماء ليس فيه جرثومة واحدة .. والجلو الذي يعيش فيه منفى إلى آخر درجات العلم .. هنا نكون قد أبعذنا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التي نعرفها .. ومع ذلك فهل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الأسباب الظاهرة للموت .. الجواب طبعاً مستحيل .. لأن الله هو الذي يحيى ويميت .. والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الله ..

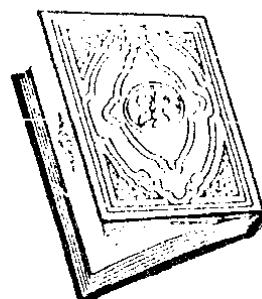
ثم تحدي الله العالم كله في القرآن بخمسة مغيبات ..

القرآن منق حواجز الغيب

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمٌ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
مَوْتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ (٣٤)

(من الآية ٣٤ سورة لقمان)

تحدى الله بهذه المغيبات .. تحدى البشر جميعا .. فكأن القرآن كما تحدى العرب في اللغة عندما نزل .. حمل تحديات للعالم أجمع .. وقال لهم : إنكم لن تصلوا إلى كذا وكذا إلى آخره .. عشرات التحديات التي ساقها القرآن للبشرية وكانت هذه التحديات لكل البشرية .. ولكل العصور .. وما زالت قائمة حتى الآن .. وما زالت البشرية كلها عاجزة أمام قدرة الله .. لماذا ؟ إن السر يكمن في كلمتين .. «سبحان الله» .. وليس كمثله شيء .. وهذا هو موضوع الفصل القادم ..



الفصل الثامن

سبحان الله



الإنسان في علاقته بالله سبحانه وتعالى يدخل في حالات متعددة تتغير فيها طبيعة اتصاله بما هو غيب عنه بالنسبة للشخص الواحد .. فالإنسان مثلاً حين يكون في يقظة .. وفي حياته اليومية يرى الأشياء بقدر ما تعطيه هذه اليقظة منوعي دنيوي .. أو بقدر ما يحجب عنه جسده المادي من أشياء قد لا يعرف عنها شيئاً .. والإنسان وهو يقظ خاضع للعقل خصوصاً كاملاً .. فإذا نام مثلاً تغير الحال .. وأصبح يرى في نومه أشياء لا يراها في اليقظة ولا تدخل في نطاق العقل البشري . فيمكن أن يرى نفسه يطير في الهواء مثلاً .. أو يرى نفسه في أماكن لم يرها في حياته الدنيوية .. أو يتحدث في الحلم مع أشخاص ماتوا إلى رحمة الله منذ مدة طويلة .. وفارقوا هذه الدنيا .. أو يرى أشياء عجيبة تحدث له لا تتفق مع العقل والمنطق .. ولا مع مهاراته .. فقد يرى مثلاً أنه يركب حصاناً وهو لا يعرف ركوب الخيل .. أو أنه يقوم بعمل لا يتقنه في الدنيا .. والعجيب أن الرؤيا تتم .. والعين مغلقة تماماً .. أى أن الذي يرى ليس هو العين .. وإنما الروح ..

إذن فالروح لها رؤيا خاصة وهي يمكن أن تلتقي مع الذين فارقوا الدنيا وتتحدث معهم .. والإنسان نائم .. يكون في عالم آخر غير عالم اليقظة .. وتلتقي روحه وهو نائم مع أمه أو أبيه الذين فارقوا الحياة منذ سنوات .. ويرى أشخاصاً وأشياء لم يعرفها في حياته .. بل ولا تتفق مع منطق الحياة .. ولكن ما الذي يجعل الإنسان يرى وهو نائم ومغمض العينين ما لا يراه .. وهو مستيقظ .. وما الذي يجعله يرى أماكن لأشخاص لم يشاهدهم في حياته .. فإذا استيقظ ضاع كل هذا .. وبماذا نفسر هذه الظاهرة .. نقول أنها حين نصل إلى أشياء تقف فيها عقولنا لأنها تخالف ما نعتاد ونألف نضعها تحت عنوان «سبحان الله» وليس كمثله شيء .. ذلك لأننا لا نعرف قوانين الروح والجسد قائماً .. ولا نعرف قوانينها بعد أن تفارق الجسد .. ذلك غيب عنها .. تعجز عنه عقولنا .. لذلك نضعه تحت عبارة .. «سبحان الله» وليس كمثله شيء ..

ونفسر هذه العبارة قليلاً .. إذا قلت أن فلاناً قد ضرب فلاناً بكل قوته .. هل تعنى شيئاً .. الجواب أبداً .. لا يكون للشيء معنى إلا إذا نسب لفاعله ..

سبحان الله

ووضعت فيه قدرات هذا الفاعل .. بمعنى أنني إذا قلت أن طفلا صغيرا عمره أشهر ضربني بكل قوته .. وقلت أن بطل العالم في الملاكمه ضربني بكل قوته .. فهناك فرق كبير بين المعنين .. الأول ضربه لا يؤثر في .. ولا أحس به .. والثاني ضربه قد يقتلني .. مع أن الاثنين قد استخدما كل قوتهمما التي وهبها الله لها في عملية الضرب .. ولكن الفعل هنا يتناصف مع الفاعل .. فالطفل الصغير لا أكاد أحس بضربه .. وبطل العالم يستطيع أن يحطم ضلوعي بسهولة ..

لى قوة .. وله قوة

إذا أخذنا هذا المثل .. ووضعنا الله سبحانه وتعالى تحت عبارة سبحان الله .. وليس كمثله شيء .. استطعنا أن نقرب كثيرا من المعنى الذي قد يستغلها البعض لاضلال البشر .. الله سبحانه وتعالى قوة .. ولها قوة .. ولكن هل قوى مثل قوة الله سبحانه وتعالى .. الله سبحانه وتعالى علم ولها علم .. ولكن هل علمي مثل علم الله سبحانه وتعالى .. الله حي .. وأنت موصوف بالحياة .. فلا تقول إن حياتك مثل حياة الله سبحانه وتعالى .. وجود الله سبحانه وتعالى ليس كوجودك .. وعلمه ليس كعلمه .. وقدرته ليست كقدرتك .. ومن هنا يخرج وجه المقارنة .. حيث انه لا مقارنة .. فالله بقدرته وقوته يأتي تحت وصف «سبحان الله .. وليس كمثله شيء» .. ومن هنا فإني لا يجب أن أنساب إلى نفسي بالمدلول البشري ما يقول الله سبحانه وتعالى عن ذاته .. فعندما أتصور قوة الله لا أقارنها بقوى .. ولكنني أقول «سبحان الله .. وليس كمثله شيء» .. وعندما أتصور انتقام الله لا أقارنه بانتقامي .. وإنما أضعه تحت عبارة «سبحان الله .. وليس كمثله شيء» ..

ومن هنا تجد تحت هذه العبارة «سبحان الله وليس كمثله شيء» .. أنا نستطيع أن نصل إلى مدلول أشياء كثيرة .. فأنت مثلا لا تستطيع أن تتصور إلا ما تراه .. وعندما يخبرك الله سبحانه وتعالى عن أشياء لا تراها تضعها تحت عنوان «سبحان الله وليس كمثله شيء» .. لأنه شتان بين رؤياك ورؤيا الله سبحانه وتعالى .. مثلا سبحان الذي أسرى بعبدك .. من الذي أسرى .. الله سبحانه وتعالى .. أسرى به إلى المسجد الأقصى .. لا تأقلي في هذه الحالة

سبحان الله

بقوانين الزمان .. وقوانين المكان التي تنطبق عليك أنت .. والتي تستطيع أن تراها وتتصورها .. ثم تحاول أن تطبقها على فعل من أفعال الله .. لماذا .. لأن الله ليس كمثله شيء .. ومن هنا فإن هذه القوانين التي تحكمك لا تحكمه .. والزمان والمكان اللذان تخضع لها لا وجود لكتلتها عند الله سبحانه وتعالى .. لأنه ليس كمثله شيء .. الذي أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم هنا هو الله سبحانه وتعالى .. ولذلك حين قال بعض الناس أ يستطيع محمد أن يذهب إلى بيت المقدس .. ويصعد إلى السماء .. ويعود في ليلة واحدة . نقول أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يدع ذلك .. وإنما أسرى به .. والذي أسرى به هو الله سبحانه وتعالى .. والله ليس كمثله شيء .. ومن هنا فإن قوانين الزمان والمكان .. وقوانين الدنيا كلها .. والقدرة إلى آخر كل ما يتصوره البشر لا ينطبق على الأسراء .. لأن الله هو الفاعل .. «والله ليس كمثله شيء» . وإذا كان كل شيء يأتي بالتشابه .. فإن الذي يأتي من الله سبحانه وتعالى «ليس كمثله شيء» .. ولذلك عندما نقول «سبحان الله وليس كمثله شيء» .. فإننا نعلو به سبحانه علو كبيرا عن كل شيء يأتي بالتشابه .. إذن كل ما نطق به الله سبحانه وتعالى خذه على أنه له .. أما عن كيفيةه فلا أحد يستطيع أن يصل إليه .. لماذا؟ لأنه ليس كمثله شيء ..

القدرة .. والعلم

ومن هنا عندما يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن معجزة من المعجزات التي يؤيد بها أنبياءه .. أو عن عالم الملائكة والجن الذي لا نراه .. فنحن نعرف أن هذه حقائق .. لأن الله سبحانه وتعالى قادر .. وقدرته لا تقارن بالدنيا كلها .. عالم وعلمه لا يصل إلى ذرة من ذراته علم البشر .. ومن هنا فهو يخلق ما نرى .. ويخلق ما لا نرى .. ويخلق ما لأنراه الآن .. وقد نراه في المستقبل .. ولكن الله سبحانه وتعالى كما قلت لطيف بعباده .. ومن هنا فإنه يضع في الكون آيات تقرب إلى العقل البشري .. ذلك الذي يعجز عنه هذا العقل .. وتجعله قريبا من تصوره .. وهو بذلك يريد أن يدخل الاطمئنان إلى قلوبنا .. وأن يعطيانا الإيمان واليقين بحيث نستطيع أن نواجه المضلين .. وأن نرد عليهم .. والإنسان المؤمن دائمًا في قلبه سكينة .. وفي قلبه أمل .. ذلك أنه

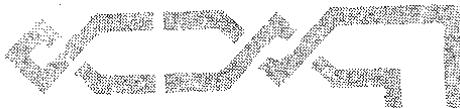
سبحان الله

مؤمن بقدرة الله التي هي بلا حدود . . . ويؤمن بأن الله الذي كتب على نفسه نصر المؤمنين . . . وكتب على نفسه انجاء المؤمنين . . . وكتب على نفسه أن يدافع عن الذين آمنوا . . . تلك القدرة الهائلة . . . قادرة على حمايته . . . وعلى دفع الفض عنه . . . ولو كانت أسباب الدنيا كلها ضده . . .

ولكن كما يجادل بعض الناس في الروح . . . يأق واحد منهم ويقول ما هذا عن عالم الجن والملائكة . . . أنا لا أصدق إلا ما نراه . . . ويجادل . . . ويجادل . . . إلى آخر هذا الكلام . . . فإذا قلت له هل شهدت الخلق . . . هل شهدت خلق الجن والملائكة . . . يرد عليه أنه وأنت أيضا لم تشهده . . . وهنا ترد عليه بأن الله سبحانه وتعالى وقد وضع لنا في هذا الكون الدليل على أن ما فوق قدرة العقل . . . وما فوق قدرة البصر . . . وما فوق قدرة السمع موجود في هذا العالم منذ خلق الأرض ومن عليها . . . وإنما هو خرج من علم القادر . . . وهو الله سبحانه وتعالى إلى علم غير القادر وهو الإنسان . . . ليدل على أن ما هو فوق قدرة العقل موجود . . . وما هو فوق قدرة البصر موجود . . . وما هو فوق قدرة السمع موجود . . . ولنناقش هذه المسائل الثلاث . . .

ما هو فوق قدرة العقل موجود منذ الأزل . . . وإن كان قد أصبح في قدرة العقل خلال السنوات الأخيرة . . . فإن يطير الإنسان في الهواء مثلا بطائرة . . . كان فوق قدرة العقل في الماضي . . . بحيث إنك إذا قلت منذ مائة سنة مثلا . . . إنك ركبت طائرة . . . وطررت في الهواء . . . لاتهمك الناس بالجنون أو بالكفر . . . ولقتلوك . . . ولو قلت إنك تحدثت في آخر الدنيا فتسمعك ملايين البشر في وقت واحد . . . لو قلت هذا منذ مائة سنة فقط لما صدفك أحد . . . ذلك إن هذا فوق قدرة العقل البشري . . . ولكنك الآن تذهب إلى أي مطار فتركب الطائرة . . . وتطير في الهواء . . . وتتحدث في الإذاعة فتسمعك الدنيا من أقصاها إلى أقصاها . . . كيف حدث ذلك . . . هل اخترع الإنسان غلافا جويا جديدا للأرض يمكنه من الطير . . . هل دار حول الدنيا ليضع موجات الأثير . . . لا هذا . . . ولا ذاك طبعا . . . إنما الغلاف الجوي كما هو منذ خلق الله الأرض ومن عليها . . .

وموجات الأثير كما خلقها الله سبحانه وتعالى منذ بداية الكون . . . ولكن الذي حدث أن الله أدخل الانتفاع بهذه الأشياء مما هو فوق قدرة العقل البشري إلى



علم البشر . . أى أن هذه الأشياء خرجت من علم القادر إلى علم غير القادر بكلمة كن . . فاستطاع الإنسان أن يطير في الفضاء . . وأن يتحدث فتسمعه الدنيا كلها إلى آخر ما حققه وسيتحققه العلم بقدرة الله . . وهذا دليل قاطع على أن ما فوق قدرة العقل البشري موجود . . وإن العقل البشري ليس هو الحد الأعلى للعلم والمعرفة . . في هذه الأرض . . وأنه كلما تقدم الزمن أعطى الله سبحانه وتعالى عليها كان فوق قدرة البشر . . أعطاه للقدرات البشرية . . حتى يستطيع الإنسان أن يصل إليه . . وحتى يؤمن الإنسان أن ما فوق قدرة العقل موجود . . وحقيقة واقعة . . وأنه يمكن أن يجهلها . .

فوق الأسماع . . والأبصار

هذا بالنسبة للعقل . . أما بالنسبة لما هو فوق قدرة الأذن فذلك شيء نعرفه كل يوم . . إذا جلست أنت في حجرة مغلقة ليس فيها أى صوت وسألت أنا . . هل يوجد صوت في هذه الحجرة . . تقول لي أنا لا أسمع شيئاً . . وكيف لا أسمع شيئاً . . فإنه لا يوجد صوت في هذه الحجرة . . فإذا «فتحت الراديو» سمعت مئات الأصوات من جميع أنحاء الدنيا . . من أين جاءت هذه الأصوات . . هذه الأصوات تسبح في جو الحجرة . . ولكنك لا تستطيع أن تسمعها بالأذن المجردة لأنها فوق قدرة الأذن . . فإذا أتيت بالآلة استطاعت أن تجعل هذه الأصوات في قدرة الأذن . . كان في امكانك أن تسمعها وتمييزها . . إذن فهذه الأصوات موجودة . . ولكنك لا تستطيع أن تسمعها إلا إذا أتيت بالآلة تجعل أذنك قادرة على أن تستمع إليها . . وربما في المستقبل تكون هناك اختراعات أخرى بما هو في علم الله . . ولم يصل إلى العلم البشري . . تستطيع أن تجعلك تسمع أصواتاً لا تسمعها الآن . . ولا ندرى عنها شيئاً . . بل إنني أريد أن أزيد على هذه التجربة لحظة صغيرة . . إذا أتيت بالراديو الترانزستور . . ووضعت سماعة الأذن الصغيرة في أذنك . . وجلسنا نحن الاثنين معاً بحوار بعضنا البعض . . وسألتني هل أسمع شيئاً . . سأقول لا . . هل يوجد صوت هنا . . سأقول : لا . . بينما أنت جالس إلى جواري . . والسماعة في أذنك تسمع الدنيا كلها . . كما تشاء . . وأنا بجانبك لا أسمع شيئاً . . ما معنى هذا . . معناه أن الجهاز الذي تستخدمه قد جعل الأصوات التي تسبح في

سبحان الله

الحجرة .. التقطها وجعلها في مقدرة أذنك .. بينما أنا جالس إلى جوارك .. وفي نفس المكان .. ولكن هذه الأصوات فوق قدرة سمعي .. هل معنى ذلك أن الأصوات التي تسمعها أنت بسماعة الراديو غير موجودة .. لأنني لا أسمعها .. مستحيل .. ولكن معناها أن هذه الأصوات التي تسمعها أنت وحدك .. والتي هي فوق قدرة أذني موجودة .. ولكن غير قادر على سماعها لأنها فوق قدرة أذني ..

نكون بذلك قد وصلنا إلى أن ما هو فوق قدرة العقل موجود .. وما هو فوق قدرة السمع موجود .

ثم نأتي إلى ما هو فوق قدرة البصر ..

أنت تقول أنا لا أرى العالم الأخرى التي يتحدث عنها الله .. ومن هنا فهي غير موجودة .. وأنا آتي لك بنقطة ماء من الترعة .. وأقول لك هل ترى في هذا الماء شيئاً .. ستقول لا .. وعندما أضع الماء تحت الميكروسكوب تظهر فيه مئات الجراثيم الدقيقة الحية التي تتحرك بشكل عجيب .. أقول لك انظر في الميكروسكوب .. ستري هذه الجراثيم .. بينما أن الإنسان المريض حينها تأخذ نقطة من دمه .. فإنك لا ترى فيها شيئاً .. فإذا وضعتها تحت الميكروسكوب .. أو وضعت عليها سائلاً معيناً تكتشف جراثيم وأشياء عجيبة .. أين كانت هذه الأشياء .. كانت فوق قدرة بصرك .. فعندما استعنت بالآلة مكبرة جاءت من خارج قدرة البصر لتصبح من الممكن رؤيتها .. ولكن هل عدم رؤيتك لهذه الجراثيم معناها أنها غير موجودة .. أو أن هذه الجراثيم لم تكن موجودة قبل اختراع الميكروسكوب .. كانت موجودة قطعاً .. ولكنها كانت فوق قدرة البصر .. وجاء اختراع الميكروسكوب ليدخلها من فوق قدرة البصر إلى القدرة البشرية .. ولكنها كانت موجودة رغم أنك لا تراها ..

إذا جلست في حجرة فيها تليفزيون .. هذه الحجرة ليس فيها صورة .. فإذا فتحت التليفزيون أصبحت الحجرة فيها صورة .. بل ورأيت وأنت جالس أمامك إنساناً يمشي فوق القمر .. هل في قدرة البصر أن يرى إنساناً يمشي فوق القمر .. الجواب نعم .. إذا استخدم إمكانيات الله في الكون .. ولقد استخدم العلم إمكانيات الله في الكون في نقل الصورة من مكان إلى آخر .. فالعلم لم يخترع طبقات الجو التي تنقل الصورة .. ولا يستطيع أن يخترعها ..

بل اكتشفها . . والله هو القادر الذي كان في علمه كل هذا . . وأخرجه إلى علم غير القادر . . وهو الإنسان . . لماذا؟ ليعلم الإنسان علم اليقين . . إن ما هو فوق قدرة عقله موجود . . وإن ما هو فوق قدرة سمعه موجود . . وإن ما هو فوق قدرة بصره موجود . . حتى إذا حدثه الله سبحانه وتعالى عن قضية غيبية هي فوق قدرة العقل . . أو السمع . . أو البصر . . عرف يقيناً إنها موجودة . . وإن ما يقوله الله سبحانه وتعالى حق . . إذن ما هو فوق قدرة الإنسان موجود فعلاً . . موجود بفرق شاسع جداً . . هو الفرق بين قدرة المخلوق والخالق . . والله سبحانه وتعالى أراد ألا تكون هذه القضية الإيمانية . . وهي قضية الغيب ألا تكون مادة للمضلين ليضلوا بها الناس . . ويبعدوهم عن طريق الله . . فجعل العقل البشري نفسه ينتقل بقدرة الله ومن جبل إلى جبل مما هو مستحيل عقلياً إلى ما هو ممكن . . ليثبت إن ما فوق قدرة العقل موجود . . وجعل الأذن تستطيع بقدرة الله أن تنتقل مما هو فوق قدراتها العادلة . . وجعل العين تستطيع أن ترى ما لم تكن تحلم بأنها ستراه . . وكان الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يعطي كل هذا العلم للعقل البشري في اللحظة الأولى التي خلقه فيها . . ولكنه لم يرد ذلك حتى يكون العطاء للإنسان عطاً فيه ثبات لقدرة الله . . وفيه ثبات لوجود الغيب . . وفيه ثبات لما هو فوق القدرات البشرية . .

علم البشر

على أن العلم البشري يتحدد في شيئين رئيسين . . علم مادي يخضع ل التجربة البحتة . . لا يدخل فيه هوى البشر . . ذلك العلم هو الذي يتناول المادة فقط . . وهو الذي يمكن أن يفحص في العمل . . وتجربى عليه التجارب . . وليس فيه هوى النفس البشرية . . وهذا العلم هو الذي أتاحه الله للعقل البشري . . وطلب منه أن يجتهد فيه . . ووعد الله بأن يكشف آياته في الكون لأولئك الذين يعملون . . ويفحصون . . ويجررون التجارب . . ويجتهدون . . وعلم آخر هو علم تدخل فيه الأهواء . . وذلك ما لا يدخل في العمل . . ولا يمكن إجراء تجربة عليه . . وهذا العلم مثل النظريات الفلسفية . . والسياسية . . وكل شيء لا يخضع ل التجربة المعمل . . هذا العلم مختلف فيه

سبحان الله

الأهواء وتصارع .. وسيظل الصراع بينها إلى يوم القيمة .. لأن هذا العلم لا يستند على أساس مادية موضوعية بحثة .. وإنما تدخل فيه الأهواء الشخصية ..

النوع الأول من العلم صاحبه يظل يعاني حتى يصل إلى هدفه .. فإذا وصل إلى الهدف استفاد منه الناس كلهم .. فالعالم مثلا الذي يجري تجرب في معمله .. على اختراع جديد .. أو شيء جديد .. يظل يسهر ليالي طويلة حتى يصل إلى نتائج .. فإذا وصل إلى نتائج استفادت منها البشرية كلها .. وإذا أردنا أن نضرب مثلا لذلك .. فهناك مثلا اكتشاف الكهرباء .. واختراع الراديو والتليفزيون .. والتليفون .. إلى آخر هذه الأشياء التي اقتضت بحثا من أصحابها .. فإذا وصل البحث إلى نتيجة استفادت منها البشرية كلها .
أما النوع الثاني من العلم .. فهو الذي يخضع للهوى .. فإن صاحبه هو الذي يستفيد .. وغيره يعاني ذلك .. إنه يضع العلم على هواه .. وعلى أساس ما يرضيه هو .. ومن هنا فإن صاحب النظرية الفلسفية أو السياسية .. لا يعاني شيئا بقدر ما يعاني أولئك الذين يخضعون لها .. أو ينفذونها ..

ماذا قدم العلم

ماذا قدم العلم للبشرية .. تعالوا نناقش ذلك من واقع التجربة العلمية .. أن أساس الحياة البشرية من خلق الله سبحانه وتعالى لم يتغير .. ولم يتبدل .. ولا يستطيع العلم أن يجد له بديلا .. وإنما العلم يقدم الرفاهية للبشر .. أي أنه يجعل الحياة أكثر سهولة .. وأكثر نعومة .. ولكنه لا يعطينا مقومات الحياة .. بل أن الله سبحانه وتعالى علينا منه بظلم الإنسان للإنسان .. جعل مقومات الحياة في يده .. وما أعطاه منها ليد البشر .. أعطاهم بشكل لا يجعل الإنسان قادرا على اهلاك الإنسان باستخدام أسباب الخلق .. ولنشرح هذه النقطة قليلا .. مقومات الحياة من كرة أرضية .. وشمس .. ونظام كوني لا دخل للإنسان فيه .. ولا يستطيع الإنسان بعلمه أن يتدخل ليخلق كرة أرضية جديدة .. أو شمسا جديدة .. أو نجوما جديدة .. أو سماوات جديدة .. إلى آخر هذا .. هذا خلق الله .. والعلم إذا استطاع أن يكتشف الآيات فيه .. يكون قد تقدم تقدما هائلا .. ولكنه لن يستطيع أن

سبحان الله

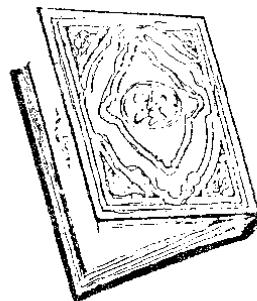
يخلق شيئاً فيه .. أو يبدلها .. أو يغيرها .. وإذا كنا نتحدث الآن .. ونحن في عصر العلم .. فتلك حقيقة هامة .. لا يستطيع أحد الجدال فيها .. نأق بعد ذلك إلى مقومات الحياة على الأرض .. الهواء .. والماء .. والطعام .. لوازم ثلاثة لحياة الإنسان على الأرض .. الإنسان بطبيعته لا يستطيع العيش بدون الهواء أكثر من دقيقة أو دقائق .. ولذلك أخرج الله الهواء من قدرة البشر على التحكم في البشر .. فالله شاء أن يكون الهواء مباحاً للناس جميعاً .. لا يستطيع واحد أن يمنعه عن مجموعة من الناس فتهلك .. بل إنه أخضع الهواء لعدله .. فكان متساوياً بين الناس جميعاً .. فقيرهم وغنيهم .. وعظيمهم وحقرهم وذلك الذي لا يملك من أسباب الدنيا شيئاً ..
.. فهم جميعاً يتنفسون بنفس السهولة .. ونفس الطريقة دون أي عناء .. يصلهم الهواء إلى حيث هم .. وأينما كانوا .. في حجرات مغلقة .. أو في الطريق .. أو في السيارة .. أو في أي مكان في العالم .. فإن الهواء يصلهم سهلاً .. ميسراً .. متاحاً للجميع .. وهذا عدل الله سبحانه وتعالى .. ولا دخل لبشر فيه ..

نأق بعد ذلك إلى الماء .. وهو ما يستطيع الإنسان أن يعيش بدونه يوماً .. أو عدة أيام .. نجد أن القدرة على احتزان الماء قليلة .. والقدرة على منع الماء عن البشر قليلة .. ومحذدة .. وإن كانت لها امكانيات .. وهنا يتدخل ظلم الإنسان .. ولكن بقدر محدود جداً .. نظراً لأهمية الماء للحياة .. البشرية .. ثم نأق بعد ذلك للطعام .. فنجد أن قدرة الإنسان على احتزانه ومنعه .. أكبر .. ولكن احتفال الإنسان وعدم تناول الطعام أكثر .. ومن ثم فإن الإنسان يستطيع أن يتحمل عدة أيام بدون طعام .. ولكنه في نفس الوقت يستطيع الإنسان أن يحصل على ما يقيم أوده .. أو يبقى الحياة في جسده بسهولة .. نظراً لأن الكمية التي يحتاج لها الجسم البشري من الطعام قليلة نسبياً .. فهي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيمات يقمن أوده أو كمية محدودة من الطعام .. وكل زاد إقبال الإنسان على الطعام فسد جسده واعتلت صحته .. هذه هي مقومات الحياة الثلاثة .. شيء لا يستطيع عنه الإنسان ولا يستطيع الحياة بدونه أبداً .. وهو الهواء .. نافذ فيه عدل الله .. ليحصل كل إنسان

سبحان الله

على حاجته بلا عناء .. وشيء يستطيع الإنسان أن يستغني عنه يوماً وهو الماء ..
متوافر للناس .. وشيء ثالث وهو الطعام تحكم البشر فيه أكثر .. ولكن احتمال
الإنسان للعيش بدونه أكبر .. وهنا ترى عدالة السماء في توزيع مقومات
الحياة ..

ادعو الله أن يوفقنا إلى سواء السبيل .. ويهدينا إلى صراطه المستقيم ..



محتويات الكتاب

صفحة

٣	- تقديم الكتاب
٥	- الفصل الأول : ما هي المعجزة ؟
٢١	- الفصل الثاني : معجزة القرآن وكيف تختلف
٣٣	- الفصل الثالث : المعجزة اللغوية في القرآن الكريم
٤٥	- الفصل الرابع : البلاغة في القرآن الكريم
٦٣	- الفصل الخامس : التناقض في القرآن الكريم
٨٣	- الفصل السادس : القرآن وقوانين الكون
١٠١	- الفصل السابع : القرآن مرق حواجز الغيب
١٢٥	- الفصل الثامن : سبحان الله

رقم الإيداع : ٩٣ / ٣٣٢١

I. S. B. N. / الترقيم الدولي

977 - 08 - 0175 - 5